



ئەكادىمىيەى بانگەواز

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

جزء عم

عبدالرحمن بن ناصر السعدي

 Academy.Bangawaz.net

مەنھەجى وانەى تەفسىر بۆ خويىندى قۇناغى دووھى ئەكادىمىيەى بانگەواز



تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

جزء عمّ (من النبأ إلى الناس)

لعبد الرحمن بن ناصر السعدي

توفي سنة ١٣٧٦ هـ رَحِمَهُ اللهُ



تنبيه

اعلم أنَّ طريقتي في هذا التفسير أنَّي أذكرُ عند كلِّ آيةٍ: ما يحضُّرنِي من معانيها، ولا أكتفي بذكر ما تعلَّق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلَّق بالمواضع اللاحقة؛ لأنَّ الله وصف هذا الكتاب أنَّه (مثنى) تثنَّى فيه الأخبار والقصص والأحكام، وجميع المواضع النَّافعة لحكمٍ عظيمة، وأمر بتدبُّره جميعه، لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف، وصلاح الظاهر والباطن، وإصلاح الأمور كلها.

تفسير سورة عم

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [النبا]

[١-٥] أي: عن أي شيء يتساءل المكذبون بآيات الله؟ ثم بين ما يتساءلون عنه؛ فقال: ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: عن الخبر العظيم الذي طال فيه نزاعهم، وانتشر فيه خلافهم على وجه التكذيب والاستبعاد، وهو النبأ الذي لا يقبل الشك ولا يدخله الريب؛ ولكن المكذبون بلقاء ربهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم. ولهذا قال: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾؛ أي: سيعلمون إذا نزل بهم العذاب ما كانوا به يكذبون، حين ﴿يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿٣٣﴾﴾ [الطور]، ويقال لهم: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور].

ثم ذكر تعالى النعم والأدلة الدالة على صدق ما جاءت به الرسل فقال:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاهُكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبا]

[٦-١٦] أي: أما أنعمنا عليكم بنعم جلييلة، فجعلنا لكم ﴿الْأَرْضَ مِهْدًا﴾؛ أي: مهادة مذللة لكم ولمصالحكم، من الحروث والمسكن والسبل.

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: تمسك الأرض لئلا تضطرب بكم وتميد.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾؛ أي: ذكورا وإناثا من جنس واحد؛ ليسكن كل منهما إلى الآخر، فتكوّن المودة والرحمة، وتنشأ عنهما الذرية، وفي ضمن هذا الامتنان، بلذة المنكح.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾؛ أي: راحة لكم، وقطعا لأشغالكم، التي متى تبادت بكم أضرت بأبدانكم، فجعل الله الليل والنوم يُغشي الناس لتسكن حركاتهم الضارة، وتحصل راحتهم النافعة.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾؛ أي: سبع سماوات، في غاية القوة، والصلابة والشدة، وقد أمسكها الله بقدرته، وجعلها سقفا للأرض، فيها عدة منافع لهم، ولهذا ذكر من منافعها الشمس؛ فقال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ نبه بالسراج على النعمة بنورها، الذي صار كالضرورة للخلق، وبالوهّاج وهي حرارتها على ما فيها من الإنضاج والمنافع.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾؛ أي: السحاب ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾؛ أي: كثيرا جدا.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ من بُرّ وشعير وذرة وأرز، وغير ذلك مما يأكله الآدميون.

﴿وَنَبَاتًا﴾: يشمل سائر النبات، الذي جعله الله قوتا لمواشيهم.

﴿وَجَنَّتِ الْأَقْطَافُ﴾؛ أي: بساتين ملتفة، فيها من جميع أصناف الفواكه اللذيذة.

فالذي أنعم عليكم بهذه النعم الجليلة، التي لا يقدر قدرها، ولا يحصى عددها، كيف تكفرون به وتكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟! أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه وتجحدونها؟

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝ (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝ (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝ (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ (٢١) لِلظَّالِمِينَ مَذَابًا ۝ (٢٢) لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝ (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا ۝ (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝ (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۝ (٢٨) وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۝ (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝ (٣٠)﴾ [النبا]

[١٧-٢٥] ذكر الله تعالى ما يكون في يوم القيامة الذي يتساءل عنه المكذبون، ويجحده المعاندون، أنه يوم عظيم، وأن الله جعله ﴿مِيقَاتًا﴾ للخلق.

﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ فيأتون ﴿أَفْوَاجًا﴾ ويجري فيه من الزّعازع والقلابل ما يشيب له المولود، وتنزعج له القلوب، فتسير الجبال حتى تكون كالهباء المبعوث، وتنشق السماء حتى تكون أبوابا، ويفصل الله بين الخلائق بحكمه الذي لا يجور، وتوقد نار جهنم التي أرصدها الله وأعدها للطّاغين،

وجعلها مثوى لهم ومآباً، وأنهم يلبثون فيها أحقاباً كثيرة، و(الحقْب) على ما قاله كثير من المفسرين: ثمانون سنة؛ فإذا وردوها ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾؛ أي: لا ما يبرد جلودهم، ولا ما يدفع ظمأهم.

﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾؛ أي: ماءً حارًّا، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم، ﴿وَعَسَاقًا﴾ وهو: صديد أهل النار، الذي هو في غاية التنت، وكرهه المذاق.

[٢٦-٣٠] وإنما استحقوا هذه العقوبات الفظيعة جزاء لهم وفاقاً على ما عملوا من الأعمال الموصلة إليها، لم يظلمهم الله؛ ولكن ظلموا أنفسهم، ولهذا ذكر أعمالهم، التي استحقوا بها هذا الجزاء، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾؛ أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا أن الله يجازي الخلق بالخير والشر، فلذلك أهملوا العمل للآخرة.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾؛ أي: كذبوا بها تكديبا واضحا صريحا وجاءتهم البينات فعاندوها. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ من قليل وكثير، وخير وشر ﴿أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾؛ أي: أثبتناه في اللوح المحفوظ، فلا يحسب المجرمون أننا عدبناهم بذنوب لم يعملوها، ولا يحسبوا أنه يضيع من أعمالهم شيء، أو ينسى منها مثقال ذرة، كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف].

﴿فَذُوقُوا﴾؛ أيها المكذبون هذا العذاب الأليم والخزي الدائم ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فكل وقتٍ وحين يزداد عذابهم، وهذه الآية أشد الآيات في شدة عذاب أهل النار أجارنا الله منها.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ وَكَأَسًا دِهَاقًا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذْبًا ۖ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبا]

[٣١-٣٦] لما ذكر حال المُجرمين؛ ذكر مآل المتقين فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾؛ أي: الذين اتقوا سخط ربهم، بالتمسك بطاعته، والانكفاف عن معصيته؛ فلهم مَفَاز ومنجي، وبعدُ عن النار. وفي ذلك المَفَاز لهم ﴿حَدَائِقُ﴾ وهي: البساتين الجامعة لأصناف الأشجار الزاهية، في الشمار التي تتفجر بين خلالها الأنهار، وخصَّ العنب لشرفه وكثرته في تلك الحدائق.

ولهم فيها زوجات على مطالب النفوس ﴿كَوَاعِبَ﴾ وهي: النواهد اللاتي لم تتكسر ثديهن من

شبابهن، وقوتهن ونضارتهن.

(والأتراب) اللاتي على سنٍّ واحدٍ متقارب، ومن عادة الأتراب أن يكن متآلفات متعاشرات، وذلك السن الذي هن فيه ثلاث وثلاثون سنة، في أعدل سن الشباب.

﴿وَكَاَسًا دِهَاقًا﴾؛ أي: مملوءة من رحيق، لذّة للشاربين، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾؛ أي: كلاما لا فائدة فيه ﴿وَلَا كِذْبًا﴾؛ أي: إثما.

كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة].

وإنما أعطاهم الله هذا الثواب الجزيل من فضله وإحسانه ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾؛ أي: بسبب أعمالهم التي وفقهم الله لها، وجعلها سببا للوصول إلى كرامته.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۖ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۚ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا ۚ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ۚ﴾ [النبا]

[٣٧-٣٩] أي: الذي أعطاهم هذه العطايا هو ربهم ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الذي خلقها ودبرها

﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي رحمته وسعت كل شيء، فرباهم ورحمهم، ولطف بهم، حتى أدركوا ما أدركوا.

ثم ذكر عظمته ومُلكه العظيم يوم القيامة، وأن جميع الخلق كلهم ذلك اليوم ساكتون ذلك اليوم لا يتكلمون، و﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فلا يتكلم أحد إلا بهذين الشرطين: أن يأذن الله له في الكلام، وأن يكون ما تكلم به صوابا، لأن ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ﴾ هو ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا يروج فيه الباطل، ولا ينفع فيه الكذب، وفي ذلك اليوم ﴿يَقُومُ الرُّوحُ﴾ وهو جبريل عليه السلام، الذي هو أشرف الملائكة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾؛ أيضًا يقوم الجميع ﴿صَفًّا﴾ خاضعين لله ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ إلا بإذنه.

فلما رغب ورهب، وبشر وأنذر؛ قال: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا﴾؛ أي: عملاً وقدم صدق يرجع إليه يوم القيامة.

[٤٠] ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ لأنه قد أرف مُقبلا وكل ما هو آت فهو قريب.

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾؛ أي: هذا الذي يهّمه ويفزع إليه، فلينظر في هذه الدار ما قدم لدار

القرار؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِإِعَادٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ [الحشر] الآيات.

فإن وجد خيرا فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ولهذا كان الكفار يتمنون الموت من شدة الحسرة والندم.

نسأل الله أن يعافينا من الكفر والشّر كله، إنه جواد كريم.

تمت





تفسير سورة النازعات

وهي مكية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّشِطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّيْحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالسَّبِقَاتِ سَبَقًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۝ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ أَيْنَا كُنَّا عِظَمًا فُخْرَةً ۝ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝﴾ [النازعات]

[١-٥] هذه الإقسامات بالملائكة الكرام، وأفعالهم الدالة على كمال انقيادهم لأمر الله، وإسراعهم في تنفيذه؛ يحتمل أن المقسم عليه الجزاء والبعث؛ بدليل الإتيان بأحوال القيامة بعد ذلك، ويحتمل أن المقسم عليه والمقسم به متحداً، وأنه أقسم على الملائكة؛ لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، ولأن في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمن الجزاء الذي تتولاه الملائكة عند الموت وقبله وبعده، فقال: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة، وتغرق في نزعها حتى تخرج الروح، فتجازي بعملها.

﴿وَالنَّشِطَاتِ نَشْطًا﴾ وهم الملائكة أيضاً، تجتذب الأرواح بقوة ونشاط، أو أن النشاط يكون لأرواح المؤمنين، والنزع لأرواح الكفار.

﴿وَالسَّيْحَاتِ﴾؛ أي: المترددات في الهواء صعوداً ونزولاً ﴿سَبْحًا﴾.

﴿فَالسَّبِقَاتِ﴾ لغيرها ﴿سَبَقًا﴾ فتبادر لأمر الله، وتسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى رُسل الله لئلا تسترقه.

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ أي: الملائكة، الذين جعلهم الله أن يدبروا كثيراً من أمور العالم العلوي والسفلي، من الأمطار، والنبات، والأشجار، والرياح، والبحار، والأجنة، والحيوانات، والجنة، والنار وغير ذلك.

[٩-٦] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ وهي: قيام الساعة، ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾؛ أي: الرجفة الأخرى التي تردفها وتأتي تلوها، ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾؛ أي: منزعة من شدة ما ترى وتسمع.

﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾؛ أي: ذليلة حقيرة، قد ملك قلوبهم الخوف، وأذهل أفئدتهم الفزع، وغلب عليهم التأسف واستولت عليهم الحسرة.

[١٤-١٠] ﴿يَقُولُونَ﴾؛ أي: الكفار في الدنيا، على وجه التكذيب: ﴿أَوَدَا كُنَّا عِظَمًا نَخِرَةً﴾؛ أي: بالية فُتَاتًا.

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾؛ أي: استبعدوا أن يبعثهم الله ويُعيدهم بعدما كانوا عظاما نخرة، جهلاً منهم بقدرة الله، وتجرؤا عليه.

قال الله في بيان سهولة هذا الأمر عليه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ينفخ في الصور؛ فإذا الخلائق كلهم ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾؛ أي: على وجه الأرض، قيام ينظرون، فيجمعهم الله، ويقضي بينهم بحكمه العدل، ويجازيهم.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۖ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۖ فَأَرَاهُ الْكُubْرَىٰ ۖ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۖ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۖ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۖ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات]

[٢٥-١٥] يقول الله تعالى لنبِيِّه محمد ﷺ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ وهذا الاستفهام عن أمر عظيم متحقق وقوعه. أي: هل أتاك حديثه ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ وهو المحل الذي كلمه الله فيه، وامتن عليه بالرسالة، وابتعثه بالوحي، واجتباها؛ فقال له: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾؛ أي: فانه عن طغيانه وشركه وعصيانه، بقول لين، وخطاب لطيف، لعله ﴿يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه].

﴿فَقُلْ﴾ له: ﴿هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: هل لك في خصلة حميدة، ومحمدة جميلة، يتنافس فيها أولو الألباب، وهي أن تزكِّي نفسك وتطهرها من دنس الكفر والطغيان، إلى الإيمان والعمل الصالح؟

﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: أدلك عليه، وأبين لك مواقع رضاه، من مواقع سخطه، ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ الله إذا علمت الصراط المستقيم، فامتنع فرعون ممّا دعاه إليه موسى.

﴿فَأَرَاهُ الْكُubْرَىٰ﴾؛ أي: جنس الآية الكبرى، فلا ينافي تعددها ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ

مُيِّنٌ ﴿٣٦﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنُّظِيرِينَ ﴿٣٧﴾ [الشعراء].

﴿فَكَذَّبَ﴾ بالحق ﴿وَعَصَى﴾ الأمر، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾؛ أي: يجتهد في مبارزة الحق ومحاربته، ﴿فَحَشَرَ﴾ جنوده أي: جمعهم، ﴿فَنَادَى﴾ ﴿فَقَالَ﴾ لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ فأذعنوا له وأقروا بباطله حين استخفهم، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾؛ أي: جعل عقوبته دليلا وزاجرا، ومبينة لعقوبة الدنيا والآخرة.

[٢٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ فإن من يخشى الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر؛ فإذا رأى عقوبة فرعون؛ عرف أن كل من تكبر وعصى، وبارز الملك الأعلى؛ يعاقبه في الدنيا والآخرة، وأما من ترحلت خشية الله من قلبه، فلو جاءته كل آية لم يؤمن بها.

﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَلَهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَلَهَا ﴿٣٢﴾ مَتَلَعَا لَكُمُ وَالْأَنْعَامِ كُفٍّ ﴿٣٣﴾ [النازعات]

[٢٧-٣٣] يقول تعالى مبينا دليلا واضحا لمنكري البعث ومستبعدي إعادة الله للأجساد: ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ أيها البشر ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ ذات الجُرم العظيم، والخلق القوي، والارتفاع الباهر ﴿بَنَاهَا﴾ الله. ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾؛ أي: جُرمها وصورتها، ﴿فَسَوَّيْنَهَا﴾ بإحكام وإتقان يحير العقول، ويذهل الألباب، ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾؛ أي: أظلمه، فعمت الظلمة جميع أرجاء السماء، فأظلم وجه الأرض، ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾؛ أي: أظهر فيه النور العظيم، حين أتى بالشمس، فانتشر الناس في مصالح دينهم ودنياهم. ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾؛ أي: بعد خلق السماء ﴿دَحَلَهَا﴾؛ أي: أودع فيها منافعها.

وفسر ذلك بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَلَهَا﴾؛ أي: ثبَّتَها بالأرض، فدحى الأرض بعد خلق السماء؛ كما هو نص هذه الآيات الكريمة، وأما خلق نفس الأرض؛ فمقدم على خلق السماء؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَبْنِئْكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ذُنُودًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ] إلى أن قال: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فُصِّلَتْ] فالذي خلق السموات العظام وما فيها من الأنوار والأجرام، والأرض الغبراء الكثيفة، وما فيها من ضروريات الخلق ومنافعهم، لا بد أن يبعث الخلق المكلفين، فيجازيهم على أعمالهم؛ فمن أحسن فله الحسن، ومن

أساء فلا يلومن إلا نفسه، ولهذا ذكر بعد هذا القيام الساعة ثم الجزاء، فقال:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَعَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ [النازعات]

[٣٦-٣٤] أي: إذا جاءت القيامة الكبرى، والشدة العظمى، التي يهون عندها كل شدة؛ فحينئذ يذهل الوالد عن ولده، والصاحب عن صاحبه، وكل محب عن حبيبه. و﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ في الدنيا، من خير وشر، فيتمنى زيادة مثقال ذرة في حسناته، ويغممه ويحزن لزيادة مثقال ذرة في سيئاته. ويعلم إذ ذاك أن مادة ربحه وخسرانه ما سعه في الدنيا، وينقطع كل سبب ووصلة كانت في الدنيا سوى الأعمال.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾؛ أي: جعلت في البراز، ظاهرة لكل أحد؛ قد هيئت لأهلها، واستعدت لأخذهم، منتظرة لأمر ربها.

[٣٩-٣٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾؛ أي: جاوز الحد، بأن تجرأ على المعاصي الكبار، ولم يقتصر على ما حده الله.

﴿وَعَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة فصار سعيه لها، ووقته مستغرقاً في حظوظها وشهواتها، ونسي الآخرة وترك العمل لها. ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ له أي: المقر والمسكن لمن هذه حاله.

[٤١-٤٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾؛ أي: خاف القيام عليه ومجازاته بالعدل؛ فأثر هذا الخوف في

قلبه؛ ف﴿نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾: هواها الذي يقيد بها عن طاعة الله، وصار هواه تبعاً لما جاء به الرسول، وجاهد الهوى والشهوة الصاديين عن الخير، ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ﴾ المشتملة على كل خير وسرور ونعيم ﴿هِيَ الْمَأْوَى﴾ لمن هذا وصفه.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَلُهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّهَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَلُهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات]

[٤٤-٤٢] أي: يسألك المتعنتون المكذبون بالبعث ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ متى وقوعها و﴿أَيَّانَ مُرْسَلُهَا﴾

فأجابهم الله بقوله: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾؛ أي: ما الفائدة لك ولهم في ذكرها ومعرفة وقت مجيئها؟ فليس تحت ذلك نتيجة، ولهذا لما كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دنيوية؛ بل

المصلحة في خفائه عليهم، طوى علم ذلك عن جميع الخلق، واستأثر بعلمه؛ فقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَلَهَا﴾؛ أي: إليه ينتهي علمها؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

[٤٥-٤٦] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾؛ أي: إنما نذارتك نفعها لمن يخشى مجيء الساعة، ويخاف الوقوف بين يدي الله، فهم الذين لا يهمهم سوى الاستعداد لها والعمل لأجلها، وأما من لا يؤمن بها، فلا يُبالى به ولا بتعنته، لأنه تعنت مبني على العناد والتكذيب، وإذا وصل إلى هذه الحال؛ كان الإجابة عنه عبثاً، ينزه أحكم الحاكمين عنه.

تمت

والحمد لله رب العالمين.



تفسير سورة عبس

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ﴾
 أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى ۙ فَآنتَ لَهُ وَتَصَدَّى ۚ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى ۚ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۙ وَهُوَ
 يَخْشَى ۙ فَآنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ﴾ [عبس]

سبب نزول هذه الآيات الكريمات، أنه جاء رجل من المؤمنين أعمى يسأل النبي ﷺ ويتعلم منه. وجاءه رجل من الأغنياء، وكان ﷺ حريصاً على هداية الخلق، فمال ﷺ وأصغى إلى الغني، وصدَّ عن الأعمى الفقير، رجاء لهداية ذلك الغني، وطمعاً في تزكيته، فعاتبه الله بهذا العتاب اللطيف، فقال:

[١-١٠] ﴿عَبَسَ﴾؛ أي: في وجهه ﴿وَتَوَلَّى﴾ في بدنه، لأجل مجيء الأعمى له، ثم ذكر الفائدة في الإقبال عليه، فقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى﴾؛ أي: الأعمى ﴿يَزَكَّى﴾؛ أي: يتطهر عن الأخلاق الرذيلة، ويتَّصف بالأخلاق الجميلة؟

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾؛ أي: يتذكر ما ينفعه، فيتنفع بتلك الذكرى.

وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، وإقبالك على من جاء بنفسه مفتقراً لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديقك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من أهم منه؛ فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك ألا يزكى، فلو لم يترك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر.

فدل هذا على القاعدة المشهورة؛ أنه: «لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة مصلحة متوهمة»؛ وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره.

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۖ فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۚ﴾ في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ

السَّبِيلَ يَسْرُهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَيْنًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَلَكَهَّةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَعَّا لَكُمُ وَلِأَنْعَمِ كُمْ ﴿٣٢﴾ [عبس]

[١١-١٦] يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: حقًا إن هذه الموعظة تذكرة من الله، يذكر بها عباده، ويبين لهم في كتابه ما يحتاجون إليه، ويبين الرُّشد من الغي، فإذا تبين ذلك ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾؛ أي: عمل به، كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمُ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. ثم ذكر محلَّ هذه التذكرة وعظمها ورفع قدرها، فقال: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ﴾ القدر والرتبة ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ من الآفات وعن أن تنالها أيدي الشياطين أو يسترقوها؛ بل هي: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ وهم: الملائكة الذين هم السفراء بين الله وبين عباده، ﴿كِرَامٍ﴾؛ أي: كثيري الخير والبركة، ﴿بَرَرَةٍ﴾ قلوبهم وأعمالهم.

وذلك كله حفظٌ من الله لكتابه؛ أن جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلًا، وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول.

[١٧-٢٣] ولكن مع هذا أبى الإنسان إلا كُفُورًا، ولهذا قال تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ نعمة الله، وما أشد معاندته للحق بعد ما تبين، وهو ما هو؟ هو من أضعف الأشياء؛ خلقه الله من ماء مهين، ثم قدر خلقه، وسواه بشرا سويًا، وأتقن قواه الظاهرة والباطنة.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ﴾؛ أي: يسر له الأسباب الدينية والدنيوية، وهده السبيل، وبينه وامتحنه بالأمر والنهي، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾؛ أي: أكرمه بالدفن، ولم يجعله كسائر الحيوانات التي تكون جيفها على وجه الأرض، ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾؛ أي: بعثه بعد موته للجزاء؛ فالله هو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه بهذه التصاريف، لم يشاركه فيه مشارك، وهو -مع هذا- لا يقوم بما أمره الله، ولم يقض ما فرضه عليه؛ بل لا يزال مقصرًا تحت الطلب.

[٢٤-٣٢] ثم أرشده الله إلى النظر والتفكير في طعامه، وكيف وصل إليه بعدما تكررت عليه طبقات عديدة، ويسره الله له فقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾؛ أي: أنزلنا المطر على الأرض بكثرة.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ للنبات ﴿شَقًّا﴾ ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ أصنافًا مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة،

والأقوات الشهية ﴿حَبًّا﴾ وهذا شامل لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها، ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ وهو القَت، ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ وخصّ هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها.

﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾؛ أي: بساتين فيها الأشجار الكثيرة الملتفة، ﴿وَفَلَكَهَةً وَأَبًّا﴾ الفاكهة: ما يتفكه فيه الإنسان، من تين وعنب وخوخ ورمّان، وغير ذلك.

والأب: ما تأكله البهائم والأنعام، ولهذا قال: ﴿مَتَنَعًا لَّكُمْ وَلَا نَعْمِيَكُمْ﴾ التي خلقها الله وسخرها لكم، فمن نظر في هذه النعم أوجب له ذلك شكر ربه، وبذل الجهد في الإنابة إليه، والإقبال على طاعته، والتّصديق لأخباره.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمِّهِ ۖ وَأَبِيهِ ۖ وَصَحْبَتِيهِ ۖ وَبَنِيهِ ۖ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّهَا غَبْرَةٌ ۖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۖ﴾ [عبس]

[٣٣-٤٢] أي: إذا جاءت صيحة القيامة، التي تُصخّ لهولها الأسماغ، وتنزعج لها الأفئدة يومئذ، مما يرى الناس من الأحوال وشدة الحاجة لسالف الأعمال؛ ﴿يَفِرُّ الْمَرْءُ﴾ من أعز الناس إليه، وأشفقهم لديه، ﴿مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمِّهِ ۖ وَأَبِيهِ ۖ وَصَحْبَتِيهِ﴾؛ أي: زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ وذلك لأنه ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾؛ أي: قد أشغلته نفسه، واهتم لفكاكها، ولم يكن له التفات إلى غيرها، فحيث ينقسم الخلق إلى فريقين: سعداء وأشقياء، فأما السعداء، فوجوههم يومئذ ﴿مُسْفِرَةٌ﴾؛ أي: قد ظهر فيها السرور والبهجة، مما عرفوا من نجاتهم، وفوزهم بالنعيم، ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ ووجوه الأشقياء ﴿يَوْمَئِذٍ عَلَيَّهَا غَبْرَةٌ ۖ تَرْهَقُهَا﴾؛ أي: تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ فهي سوداء مظلمة مدلهمة، قد أيست من كل خير، وعرفت شقاءها وهلاكها.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين بهذا الوصف ﴿هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾؛ أي: الذين كفروا بنعمة الله وكذبوا بآيات الله، وتجروا على محارمه.

نسأل الله العفو والعافية؛ إنه جواد كريم

والحمد لله ربّ العالمين.



تفسير سورة التكويد

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ١ ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ٢ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ٣ ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ ٤ ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ٥ ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ٦ ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ٧ ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيِلَتْ﴾ ٨ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ٩ ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ ١٠ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ ١١ ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ ١٢ ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ ١٣ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ ١٤ ﴿[التكويد]

[١-١٤] أي: إذا حصلت هذه الأمور الهائلة، تميز الخلق، وعلم كل ما قدمه لآخرته، وما أحضره فيها من خيرٍ وشر، وذلك إذا كان يوم القيامة تكور الشمس أي: تجمع وتلف، ويخسف القمر، ويلقيان في النار.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾؛ أي: تغيرت، وتناثرت من أفلاكها.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾؛ أي: صارت كشيئاً مهياً، ثم صارت كالعهن المنفوش، ثم تغيرت وصارت هباء منبثاً، وأزيلت عن أماكنها، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾؛ أي: عطّل الناس يومئذ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها ويراعونها في جميع الأوقات، فجاءهم ما يُذهلهم عنها، فنبه بالعِشار؛ وهي: النوق التي تتبعها أولادها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم، على ما هو في معناها من كل نفيس.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾؛ أي: جُمعت ليوم القيامة، ليقتص الله من بعضها لبعض، ويرى العباد كمال عدله، حتى إنه يقتصّ للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم يقال لها: كوني تراباً.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾؛ أي: أوقدت فصارت -على عظمها- ناراً تتوقّد.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾؛ أي: قرن كل صاحب عمل مع نظيره، فجمع الأبرار مع الأبرار، والفجار مع الفجار، وزوج المؤمنون بالحوار العين، والكافرون بالشياطين، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١]، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]،

﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ﴾ وهي: التي كانت الجاهلية الجهلاء تفعله من دفن البنات وهن أحياء من غير سبب، إلا خشية الفقر، فتسأل: ﴿يَا أَيُّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب، ولكن هذا فيه توبيخ وتقريع لقاتليها، ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾ المشتملة على ما عمله العاملون من خيرٍ وشرٍ ﴿نُشِرَتْ﴾ وفرقت على أهلها، فأخذ كتابه بيمينه، وأخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾؛ أي: أزيلت، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾ [الفرقان: ٢٥] ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾؛ أي: أوقد عليها فاستعرت والتهبت التهابا لم يكن لها قبل ذلك، ﴿وَإِذَا الْجُنَّةُ أُرْلِفَتْ﴾؛ أي: قُرِبَت للمتقين، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾؛ أي: كل نفس، لإتيانها في سياق الشرط. ﴿مَا أَحْضَرَتْ﴾؛ أي: ما حضر لديها من الأعمال التي قدّمتها؛ كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وهذه الأوصاف التي وصف الله بها يوم القيامة، من الأوصاف التي تنزعج لها القلوب، وتشتد من أجلها الكروب، وترتعد الفرائص، وتعم المخاوف، وتحث أولي الألباب للاستعداد لذلك اليوم، وتزجرهم عن كل ما يوجب اللوم؛ ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن ينظر ليوم القيامة كأنه رأي عين، فليتدبر سورة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفُقِ الْمِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٢٦ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير]

[١٥-١٦] أقسم تعالى ﴿بِالْخُنُوسِ﴾ وهي الكواكب التي تخنس؛ أي: تتأخر عن سير الكواكب المعتاد إلى جهة المشرق، وهي النجوم السبعة السيّارة: الشمس، والقمر، والزهرة، والمشتري، والمريخ، وزحل، وعطارد. فهذه السبعة لها سيران: سير إلى جهة المغرب مع سائر الكواكب والفلك، وسير معاكس لهذا من جهة المشرق تختص به هذه السبعة دون غيرها.

فأقسم الله بها في حال خنوسها أي: تأخرها، وفي حال جريانها، وفي حال كنوسها أي: استتارها بالنهار، ويحتمل أن المراد بها جميع النجوم الكواكب السيارة وغيرها.

[١٧-١٨] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾؛ أي: أدبر وقيل: أقبل، والنهار ﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾؛ أي: بدت علائم

الصبح، وانشق النور شيئاً فشيئاً حتى يستكمل وتطلع الشمس.

[١٩] وهذه آيات عظام، أقسم الله عليها لقوة سند القرآن وجلالته، وحفظه من كل شيطان رجيم؛

فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ وهو: جبريل عليه السلام، نزل به من الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ

لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الشعراء]

ووصفه الله بالكريم لكرم أخلاقه، وكثرة خصاله الحميدة، فإنه أفضل الملائكة، وأعظمهم رتبة عند ربه.

[٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ على ما أمره الله به. ومن قوته أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم.

﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾؛ أي: جبريل مقرب عند الله، له منزلة رفيعة، وخصيصة من الله اختصه بها،

﴿مَكِينٍ﴾؛ أي: له مكانة ومنزلة فوق منازل الملائكة كلهم.

[٢١] ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ﴾؛ أي: جبريل مطاع في الملا الأعلى، لديه من الملائكة المقربين جنود، نافذ فيهم

أمره، مطاع رأيه، ﴿أَمِينٍ﴾؛ أي: ذو أمانة وقيام بما أمر به، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتعدى ما حد له، وهذا

كله يدل على شرف القرآن عند الله تعالى، فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات

الكاملة، والعادة أن الملوك لا ترسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات، وأشرف الرسائل.

[٢٢] ولما ذكر فضل الرسول الملكي الذي جاء بالقرآن؛ ذكر فضل الرسول البشري الذي نزل عليه

القرآن، ودعا إليه الناس؛ فقال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما يقوله أعداؤه

المكذّبون برسالته، المتقولون عليه من الأقوال، التي يريدون أن يطفئوا بها ما جاء به؛ بل هو أكمل

الناس عقلاً وأجزلهم رأياً، وأصدقهم لهجة.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾؛ أي: رأى محمد ﷺ جبريل عليه السلام بالأفق المبين، الذي هو أعلى ما

يلوح للبصر.

[٢٤] ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ بِضَنِينٍ﴾؛ أي: وما هو على ما أوحاه الله إليه بمتهم يزيد فيه أو ينقص أو

يكتم بعضه؛ بل هو ﷺ أمين أهل السماء وأهل الأرض، الذي بلغ رسالات ربه البلاغ المبين، فلم يشح

بشيء منه، عن غني ولا فقير، ولا رئيس ولا مرؤوس، ولا ذكر ولا أنثى، ولا حضري ولا بدوي،

ولذلك بعثه الله في أمة أمية، جاهلة جهلاء، فلم يمُت ﷺ حتى كانوا علماء ربانيين، وأحباراً متفرسين، إليهم الغاية في العلوم، وإليهم المنتهى في استخراج الدقائق والمفهوم، وهم الأساتذة، وغيرهم قصاراه أن يكون من تلاميذهم.

[٢٥] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ لما ذكر جلاله كتابه وفضله بذكر الرسولين الكريمين، اللذين وصل إلى الناس على أيديهما، وأثنى الله عليهما بما أثنى، دفع عنه كل آفة ونقص مما يقدح في صدقه، فقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾؛ أي: في غاية البعد عن الله وعن قربه.

[٢٦] ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؛ أي: كيف يخطر هذا ببالكم، وأين عزبت عنكم أذهانكم؟ حتى جعلتم الحق الذي هو في أعلى درجات الصدق بمنزلة الكذب، الذي هو أنزل ما يكون وأرذل وأسفل الباطل؟ هل هذا إلا من انقلاب الحقائق.

[٢٧] ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يتذكرون به ربهم، وما له من صفات الكمال، وما ينزه عنه من النقائص والردائل والأمثال، ويتذكرون به الأوامر والنواهي وحكمها، ويتذكرون به الأحكام القدريّة والشرعية والجزائية، وبالجملة، يتذكرون به مصالح الدارين، وينالون بالعمل به السعادتين.

[٢٨] ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ بعدما تبين الرشد من الغي، والهدى من الضلال.

[٢٩] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: فمشيئته نافذة، لا يمكن أن تعارض أو

تمانع، وفي هذه الآية وأمثالها رد على فرقتي القدريّة النفاة، والقدريّة المجبرة كما تقدم مثالها.

والله أعلم، والحمد لله.





تفسير سورة الانفطار

وهي مكية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝﴾ [الانفطار]

[٥-١] أي: إذا انشقت السماء، وانفطرت، وتناثرت نجومها، وزال جمالها، وفجرت البحار فصارت بحراً واحداً، وبعثرت القبور بأن أخرج ما فيها من الأموات، وحشروا للموقف بين يدي الله للجزاء على الأعمال = فحينئذ ينكشف الغطاء، ويزول ما كان خفياً، وتعلم كل نفس ما معها من الأرباح والخسائر، هنالك يعرض الظالم على يديه إذا رأى ما قدمت يده وأيقن بالشقاء الأبدي والعذاب السرمدي. وهنالك يفوز المتقون المقدمون لصالح الأعمال بالفوز العظيم، والنعيم المقيم والسلامة من عذاب الجحيم.

﴿يَأْيُهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّلَكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الانفطار]

[٨-٦] يقول تعالى معاتباً للإنسان المقصر في حق ربه، المتجرئ على معاصيه: ﴿يَأْيُهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ أتهاوناً منك في حقوقه؟ أم احتقاراً منك لعذابه؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟ أليس هو ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّلَكَ فَعَدَلَكَ﴾ في أحسن تقويم؟ وركبك تركيباً قوياً معتدلاً في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟ إن هذا إلا من جهلك وظلمك وعنادك وغشمك، فاحمد الله إذ لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.

[٩-١٢] وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾؛ أي: مع هذا الوعظ والتذكير، لا تزالون مستمريين على

التكذيب بالجزاء.

وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة كرامًا، يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمونها، فدخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فالاتق بكم أن تكرمواهم وتجلوهم وتحترمواهم.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦)
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ
 يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩) [الانفطار]

[١٣-١٩] المراد بالأبرار؛ هم: القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، الملازمون للبر، في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن، في دار الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار القرار.

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ الذين قصَّروا في حقوق الله وحقوق عباده، الذين فجرت قلوبهم ففجرت أعمالهم، ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾؛ أي: عذاب أليم، في دار الدنيا ودار البرزخ وفي دار القرار.

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ ويعذبون بها أشد العذاب ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾؛ أي: يوم الجزاء على الأعمال.

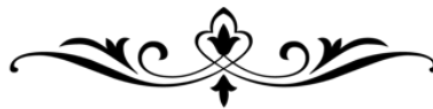
﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾؛ أي: بل هم ملازمون لها، لا يخرجون منها.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿في هذا تهويل لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ ولو كانت قريبة أو حبيبة مصافية، فكل مشغول بنفسه لا يطلب

الفكاك لغيرها، ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم حقه من ظالمه.

والله أعلم





تفسير سورة المطففين

وهي مدنية^(١)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [المطففين]

[١-٦] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ووعقاب، ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ وفسر الله المطففين بأنهم: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أي: أخذوا منهم وفاء لهم عما قبلهم يستوفونه كاملاً من غير نقص. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ أي: إذا أعطوا الناس حقهم، الذي لهم عليهم بكيل أو وزن، ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أي: ينقصونهم ذلك، إما بمكيال وميزان ناقصين، أو بعدم ملء المكيال والميزان، أو نحو ذلك؛ فهذا سرقة لأموال الناس، وعدم إنصاف لهم منهم. وإذا كان هذا وعيدا على الذين يخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذي يأخذ أموالهم قهراً أو سرقة، أولى بهذا الوعيد من المطففين.

ودلت الآية الكريمة، على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات؛ بل يدخل في عموم هذا الحُجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ما له من الحجج، فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لخصمه من الحجة التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يُعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق لكل خير.

ثم توعّد تعالى المطففين، وتعجّب من حالهم وإقامتهم على ما هم عليه، فقال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ

(١) في نسخة: مكّية.

أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ ﴿٩﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٠﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ فالذي جرّاهم على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم سيقومون بين يدي الله، فيحاسبهم على القليل والكثير؛ لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيَّومَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكْذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين]

[٧-٩] يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ﴾ وهذا شامل لكل فاجر من أنواع الكفرة والمنافقين، والفاستقين ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ؛ أي: كتاب مذكور فيه أعمالهم الخبيثة، والسَّجِّين: المحل الضيق الضنك، و﴿سِجِّينٌ﴾ ضد ﴿عِلِّيَّينَ﴾ الذي هو محل كتاب الأبرار، كما سيأتي.

وقد قيل: إن ﴿سِجِّينٌ﴾ هو أسفل الأرض السابعة، مأوى الفجار ومستقرهم في معادهم.

[١٠-١٣] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ثم بيّنهم بقوله: ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيَّومَ الدِّينِ﴾؛ أي: يوم الجزاء، يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم.

﴿وَمَا يُكْذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ على محارم الله، متعدٍّ من الحلال إلى الحرام.

﴿أَثِيمٍ﴾؛ أي: كثير الإثم، فهذا الذي يحمله عدوانه على التكذيب، ويحمله عدوانه على التكذيب ويوجب له كبره رد الحق، ولهذا ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا﴾ الدالة على الحق، وعلى صدق ما جاءت به رسله، كذبا وعاندها، و﴿قَالَ﴾ هذه ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: من ترهات المتقدمين، وأخبار الأمم الغابرين، ليس من عند الله تكبرا وعنادا.

[١٤-١٧] وأما من أنصف، وكان مقصوده الحق المبين؛ فإنه لا يكذب بيوم الدين، لأن الله قد أقام عليه من الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، ما يجعله حقّ اليقين، وصار لبصائرهم بمنزلة الشمس للأبصار، بخلاف من ران على قلبه كسبه، وغطته معاصيه، فإنه محجوب عن الحق، ولهذا جُوزي على ذلك، بأن

حجب عن الله، كما حجب قلبه في الدنيا عن آيات الله، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾ مع هذه العقوبة البليغة ﴿لَصَالُوا الْجَحِيمَ﴾ ثم يقال لهم توبيخاً وتقريراً: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ فذكر لهم ثلاثة أنواع من العذاب: عذاب الجحيم، وعذاب التوبيخ، واللوم.

وعذاب الحجاب من رب العالمين، المتضمن لسخطه وغضبه عليهم، وهو أعظم عليهم من عذاب النار، ودلّ مفهوم الآية، على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، ويبتهجون بخطابه، ويفرحون بقربه، كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن، وتواتر فيه النقل عن رسول الله.

وفي هذه الآيات، التحذير من الذنوب، فإنها ترين على القلب وتغطيه شيئاً فشيئاً، حتى ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتقلب عليه الحقائق، فيرى الباطل حقاً، والحق باطلاً وهذا من أعظم عقوبات الذنوب.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُونَ ۝ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ

الْمُقَرَّبُونَ ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ۝ خِتْمُهُ مِسْكَ ۝ فِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُ مِنَ تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝﴾ [المطففين]

[١٨-٢١] لما ذكر أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقتها، ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها وأوسعها، وأفسحها وأن كتابهم المرقوم ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ من الملائكة الكرام، وأرواح الأنبياء، والصدّيقين والشهداء، وينوّه الله بذكرهم في الملاء الأعلى، و﴿عَلَيُونَ﴾ اسم لأعلى الجنة.

[٢٢-٢٨] فلما ذكر كتابهم؛ ذكر أنهم في نعيم، وهو اسم جامع لنعيم القلب والروح والبدن، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾؛ أي: على السرر المزينة بالفرش الحسان.

﴿يَنْظُرُونَ﴾ إلى ما أعدّ الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم، ﴿تَعْرِفُ﴾؛ أيها الناظر ﴿فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾؛ أي: بهاء ونضارته ورونقه، فإن توالي اللذات والمسرات والأفراح يكسب الوجه نوراً وحسناً وبهجة.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ وهو من أطيب ما يكون من الأشربة والذها، ﴿مَخْتُومٍ﴾ ذلك الشراب ﴿خِتْمُهُ مِسْكَ﴾ يحتمل أن المراد مختم عن أن يداخله شيء ينقص لذته، أو يفسد طعمه، وذلك

الختم الذي ختم به: مسك.

ويحتمل أن المراد أنه الذي يكون في آخر الإناء، الذي يشربون منه الرحيق حثالة، وهي المسك الأذفر، فهذا الكدر منه، الذي جرت العادة في الدنيا أنه يراق، يكون في الجنة بهذه المثابة، ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ النعيم المقيم، الذي لا يعلم حسنه ومقداره إلا الله، ﴿فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾؛ أي: فليتنافسوا في المبادرة إليه والأعمال الموصلة إليه، فهذا أولى ما بذلت فيه نفائس الأنفاس، وأحرى ما تراحمت للوصول إليه فحول الرجال.

ومزاج هذا الشراب من تسنيم، وهي عين ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ صرفاً، وهي أعلى أشربة الجنة على الإطلاق، فلذلك كانت خالصة للمقربين، الذين هم أعلى الخلق منزلة، وممزوجة لأصحاب اليمين؛ أي: مخلوطة بالرحيق وغيره من الأشربة اللذيذة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۖ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۖ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۖ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۖ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۖ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۖ هَلْ تُؤِتُونَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۖ﴾ [المطففين]

[٢٩-٣٣] لما ذكر تعالى جزاء المجرمين وجزاء المؤمنين وذكر ما بينهما من التفاوت العظيم، أخبر أن المجرمين كانوا في الدنيا يسخرون بالمؤمنين، ويستهزئون بهم، و﴿يَضْحَكُونَ﴾ منهم، ف﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ بهم عند مرورهم عليهم، احتقاراً لهم وازدراءً، ومع هذا تراهم مطمئنين، لا يخطر الخوف على بالهم، ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ صباحاً أو مساءً ﴿انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾؛ أي: مسرورين مغتبطين، وهذا أشد ما يكون من الاغترار؛ أنهم جمعوا بين غاية الإساءة والأمن في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب من الله وعهد، أنهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضاللون، افتراء على الله، وتجروءوا على القول عليه بلا علم.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾؛ أي: وما أرسلوا وكلاء على المؤمنين مُلزمين بحفظ أعمالهم، حتى يحرصوا على رميهم بالضلال، وما هذا منهم إلا تعنت وعناد وتلاعب، ليس له مستند ولا برهان.

[٣٤-٣٦] ولهذا كان جزاؤهم في الآخرة من جنس عملهم؛ قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ﴾؛ أي: يوم القيامة،

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ حين يرونهم في غمرات العذاب يتقلبون، وقد ذهب عنهم ما كانوا يفترون، والمؤمنون في غاية الراحة والطمأنينة.

﴿عَلَىٰ آلَ رَأَيْكَ﴾ وهي السرر المزينه، ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إلى ما أعدَّ الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم.

﴿هَلْ تُؤَبَّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: هل جُوزوا من جنس عملهم؟

فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال، ضحك المؤمنون منهم في الآخرة حين رأوهم في العذاب والنكال؛ الذي هو عقوبة الغي والضلال.
نعم، تُؤَبَّ ما كانوا يفعلون، عدلا من الله وحكمة.

والله عليم حكيم.



تفسير سورة الانشقاق

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يَحْاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق]

[١-٢] يقول تعالى مبينًا لما يكون في يوم القيامة من تغير الأجرام العظام: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾؛ أي: انفطرت وتمايز بعضها من بعض، وانتثرت نجومها، وخسف شمسها وقمرها.

﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾؛ أي: استمعت لأمره، وألقت سمعها، وأصاحت لخطابه، أي: حق لها ذلك؛ فإنها مسخرة مدبرة تحت مسخر ملك عظيم، لا يعصى أمره، ولا يخالف حكمه.

[٣-٥] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾؛ أي: رجفت وارتجت، ونسفت عليها جبالها، ودك ما عليها من بناء ومعلم، فسويت، ومدها الله تعالى مد الأديم، حتى صارت واسعة جدًا، تسع أهل الموقف على كثرتهم، فتصير قاعًا صنفصفا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الأموات والكنوز.

﴿وَتَخَلَّتْ﴾ منهم، فإنه يُنفخ في الصور، فتخرج الأموات من الأجداث إلى وجه الأرض، وتخرج الأرض كنوزها، حتى تكون كالإسطوان العظيم، يشاهده الخلق، ويتحسرون على ما هم فيه يتنافسون، ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

[٦] ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾؛ أي: إنك ساع إلى الله، وعامل بأوامره ونواهيه، ومتقرب إليه إما بالخير وإما بالشر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فلا تُعدم منه جزاء بالفضل أو

العدل إن كنت سعيداً، وبالعقوبة إن كنت شقيّاً.

[٧-٩] ولهذا ذكر تفصيل الجزاء، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَبِئَمِينِهِ﴾ وهم أهل السعادة.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ وهو العَرْض اليسير على الله، فيقرره الله بذنوبه، حتى إذا ظن العبد

أنه قد هلك؛ قال الله تعالى له: «إني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أسترها لك اليوم».

﴿وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾ لأنه قد نجا من العذاب وفاز بالثواب.

[١٠-١٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ أي: بشماله من وراء ظهره.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ من الخزي والفضيحة، وما يجد في كتابه من الأعمال التي قدّمها ولم يتب

منها، ﴿وَيَصِلَىٰ سَعِيرًا﴾ أي: تحيط به السعير من كل جانب، ويقَلَّب على عذابها، وذلك لأنه في الدنيا

﴿كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ لا يخطر البعث على باله، وقد أساء، ولا يظن أنه راجع إلى ربه وموقوف بين

يديه.

﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ فلا يُحسن أن يتركه سدى، لا يؤمر ولا يُنهى، ولا يثاب ولا يعاقب.

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْشفَقِ ۖ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۖ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۖ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۖ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۖ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۖ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۖ﴾ [الانشقاق]

[١٦-١٩] أقسم في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشفق الذي هو بقية نور الشمس، الذي هو

مفتتح الليل.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: احتوى عليه من حيوانات وغيرها، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي: امتلاً نوراً

بإبداره، وذلك أحسن ما يكون وأكثر منافع، والمقسم عليه قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أي: أيها الناس ﴿طَبَقًا﴾

بعد ﴿طَبَقٍ﴾ أي: أطواراً متعددة وأحوالاً متباينة، من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى نفخ الروح،

ثم يكون وليداً وطفلاً ومميزاً، ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم

يُبعث ويجازى بأعماله؛ فهذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود،

الموحد، المدبر لعباده بحكمته ورحمته، وأن العبد فقير عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم.

[٢٠-٢٤] ومع هذا، فكثير من الناس لا يؤمنون، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ أي: لا

يخضعون للقرآن، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: يعاندون الحق بعدما تبين، فلا يستغرب عدم إيمانهم وانقيادهم للقرآن، فإن المكذب بالحق عنادًا لا حيلة فيه، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾؛ أي: بما يعملونه وينوونه سرًّا؛ فالله يعلم سرهم وجهرهم، وسيجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وُسِّمِيت البشارة بشارة؛ لأنها تؤثر في البشرية سرورًا أو غمًّا.

[٢٥] فهذه حال أكثر الناس؛ التكذيب بالقرآن، وعدم الإيمان به.

ومن الناس فريقٌ هداهم الله، فأمنوا بالله، وقبلوا ما جاءتهم به الرسل، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فهؤلاء ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع؛ بل هو أجرٌ دائم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والحمد لله



تفسير سورة البروج

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ٢ وَشَahِدِ وَمَشْهُودِ ٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ٤ الثَّارِ ذَاتِ
الْوُقُودِ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٩ إِنَّ الَّذِينَ قَتَنُوا
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ١٠ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُ هُوَ
يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ١٤ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٥ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٦ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
الْجُنُودِ ١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ١٩ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ٢٠ بَلْ هُوَ قَرِئَانٌ
مَّجِيدٌ ٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ٢٢﴾ [البروج]

[١-٣] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾؛ أي: ذات المنازل المشتملة على منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، على أكمل ترتيب ونظام دالٌّ على كمال قدرة الله تعالى، ورحمته، وسعة علمه، وحكمته.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ وهو يوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف الله الميعاد.

﴿وَشَahِدِ وَمَشْهُودٍ﴾ وشمل هذا كلَّ من اتَّصف بهذا الوصف؛ أي: مبصر ومبصر، وحاضر ومحضور، وراء ومرئي.

والمقسم عليه، ما تضمنه هذا القسم من آيات الله الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة.

وقيل: إنَّ المقسم عليه قوله:

[٤-٩] ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ وهذا دعاء عليهم بالهلاك.

و ﴿الْأَخْدُودِ﴾ الحفر التي تحفر في الأرض.

وكان أصحاب الأخدود هؤلاء قومًا كافرين، ولديهم قوم مؤمنون، فراودوهم على الدخول في دينهم، فامتنع المؤمنون من ذلك، فشق الكافرون أخدودًا في الأرض، وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن استمر على الإيمان قذفوه في النار، وهذا غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعدهم فقال: ﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ ثم فسر الأخدود بقوله: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقاءهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا حالة يمدحون عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون ﴿بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝﴾ أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميدٌ في أقواله وأفعاله وأوصافه.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلقًا وعبيدًا، يتصرف فيهم بما يشاء، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ علمًا وسمعًا وبصرًا؛ أفلا خاف هؤلاء المتمردون عليه أن يأخذهم العزيز المقتدر، أو ما علموا كلهم أنهم جميعهم ممالك لله، ليس لأحد على أحد سلطة، من دون إذن المالك؟ أو خفي عليهم أن الله محيطٌ بأعمالهم، مجازيهم عليها؟ كلا إن الكافر في غرور، والجاهل في عمى وضلال عن سواء السبيل.

[١٠] ثم أوعدهم ووعدهم، وعرض عليهم التوبة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾؛ أي: العذاب الشديد المحرق.

قال الحسن رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أوليائه وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة.

[١١] ولما ذكر عقوبة الظالمين؛ ذكر ثواب المؤمنين؛ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بجوارحهم ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ الذي حصل لهم الفوز برضا الله ودار كرامته.

[١٢] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: إن عقوبته لأهل الجرائم والذنوب العظام لقوية شديدة، وهو للظالمين بالمرصاد كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ

شَدِيدٌ ﴿٣١﴾ [هود].

[١٣] ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾؛ أي: هو المنفرد بإبداء الخلق وإعادته، فلا يشاركه في ذلك مشارك.

[١٤] ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأتاب.

﴿الْوَدُودُ﴾ الذي يحبه أحبابه محبةً لا يشبهها شيء؛ فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبةً في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبة أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم تكن غيرها تبعاً لها، كانت عذاباً على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد لأحبابه؛ كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، والمودة هي المحبة الصافية، وفي هذا سرٌ لطيف، حيث قرن ﴿الْوَدُودُ﴾ بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأتابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين.

بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلة، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فאלله أعظم فرحاً بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا أعظم فرح يقدر. فله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه.

[١٥] ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾؛ أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السموات والأرض والكرسي؛ فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض، وخص الله العرش بالذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى، وهذا على قراءة الجر، يكون ﴿الْمَجِيدُ﴾ نعنا للعرش، وأما على قراءة الرفع، فإن المجيد نعناً لله، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها.

[١٦] ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾؛ أي: مهما أراد شيئاً فعله، إذا أراد شيئاً؛ قال له: كن فيكون، وليس أحد فعالاً

لما يريد إلا الله.

فإن المخلوقات، ولو أرادت شيئاً؛ فإنه لا بد لإرادتها من معاون وممانع، والله لا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما أراد.

[١٧-١٨] ثم ذكر من أفعاله الدالة على صدق ما جاءت به رسله، فقال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾

فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ وكيف كذبوا المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين.

[١٩] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾؛ أي: لا يزالون مستمرين على التكذيب والعناد، لا تنفع فيهم الآيات، ولا تجدي لديهم العظات.

[٢٠] ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾؛ أي: قد أحاط بهم علماً وقدره، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر] ففيه الوعيد الشديد للكافرين، من عقوبة من هم في قبضته، وتحت تدبيره.

[٢١-٢٢] ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ﴾؛ أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم.

﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو: اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء.

وهذا يدل على جلالة القرآن وجزالته، ورفعته قدره عند الله تعالى، والله أعلم.

تم تفسيرها



تفسير سورة الطارق

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهْلٍ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا ۝﴾ [الطارق]

[١-٤] يقول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ ثم فسر الطارق بقوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾؛ أي: المضيء، الذي يثقب نوره، فيخرق السموات فينفذ حتى يرى في الأرض، والصحيح أنه اسم جنس يشمل سائر النجوم الثواقب.

وقد قيل: إنه «زحل» الذي يخرق السموات السبع وينفذها فيرى منها. وسمي طارقاً، لأنه يطرق ليلاً. والمقسم عليه قوله: ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ يحفظ عليها أعمالها الصالحة والسيئة، وستُجازى بعملها المحفوظ عليها.

[٥-٧] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾؛ أي: فليتدبر خلقته ومبدأه، فإنه مخلوق ﴿مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ وهو: المنى الذي ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يُحتمل أنه من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهي ثدياها.

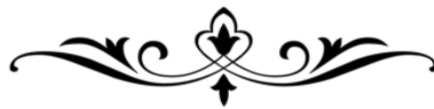
ويحتمل أن المراد المنى الدافق، وهو منى الرجل، وأن محله الذي يخرج منه ما بين صلبه وترائبها، ولعل هذا أولى، فإنه إنما وصف به الماء الدافق الذي يحس به ويشاهد دفعه، هو منى الرجل، وكذلك لفظ الترائب فإنها تُستعمل للرجل، فإن الترائب للرجل، بمنزلة الثديين للأنثى، فلو أريدت الأنثى لقليل: (من بين الصلب والثديين) ونحو ذلك، والله أعلم.

[١٠-٨] فالذي أوجد الإنسان من ماء دافق، يخرج من هذا الموضع الصعب، قادر على رجعه في الآخرة، وإعادته للبعث، والنشور والجزاء، وقد قيل: إنَّ معناه، أن الله على رجوع الماء المدفوق في الصلب لقادر، وهذا - وإن كان المعنى صحيحاً - فليس هو المراد من الآية، ولهذا قال بعده: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾؛ أي: تختبر سرائر الصدور، ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر على صفحات الوجوه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ففي الدنيا تنكتم كثير من الأمور، ولا تظهر عياناً للناس، وأما يوم القيامة فيظهر بر الأبرار، وفجور الفجار، وتصير الأمور علانية. وقوله: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي: من نفسه يدفع بها ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ من خارج ينتصر به، فهذا القسم على العاملين وقت عملهم وعند جزائهم.

[١١-١٤] ثم أقسم قسمًا ثانيًا على صحة القرآن، فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۖ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾؛ أي: ترجع السماء بالمطر كل عام، وتنصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الآدميون والبهائم، وترجع السماء أيضًا بالأقذار والشؤون الإلهية كل وقت، وتنصدع الأرض عن الأموات، ﴿إِنَّهُ﴾؛ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾؛ أي: حق وصدق بين واضح. ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾؛ أي: جدُّ ليس بالهزل، وهو القول الذي يفصل بين الطوائف والمقالات، وتنفصل به الخصومات.

[١٥-١٧] ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: المكذِّبين للرسول ﷺ، وللقرآن ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ليدفعوا بكيدهم الحق، ويؤيدوا الباطل.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ لإظهار الحق، ولو كره الكافرون، ولدفع ما جاؤوا به من الباطل، ويعلم بهذا من الغالب، فإنَّ الآدمي أضعف وأحق من أن يغالب القوي العليم في كيده. ﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا﴾؛ أي: قليلا فسيعلمون عاقبة أمرهم، حين ينزل بهم العقاب. تم تفسيرها، والحمد لله رب العالمين.



تفسير سورة ﴿سَبَّحْ﴾

وهي مكية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ٥﴾ سَنَقِرُكَ فَلَا تَنْسَى ٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ٧﴾ وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى ٨﴾ فَذَكَرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى ٩﴾ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ١٩﴾ ﴿[الأعلى]

[١-٣] يأمر تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحاً، يليق بعظمة الله تعالى؛ بأن تذكر أسماؤه الحسنی العالية على كل اسم بمعناها العظيم الجليل، وتذكر أفعاله التي منها أنه خلق المخلوقات فسوّاها؛ أي: أتقن وأحسن خلقها، ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ تقديرًا، تتبعه جميع المقدرات ﴿فَهَدَى﴾ إلى ذلك جميع المخلوقات.

وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته.

[٤-٥] وتذكر فيها نعمه الدنيوية، ولهذا قال: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾؛ أي: أنزل من السماء ماء، أنبت به أصناف النبات والعشب الكثير، فرتع فيه الناس والبهائم وجميع الحيوانات، ثم بعد أن استكمل ما قدر له من الشباب؛ ألوى نباته، وصوح عشبته، ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾؛ أي: أسود؛ أي: جعله هشيماً رميمًا.

[٦-٧] ويذكر فيها نعمه الدينية، ولهذا امتن الله بأصلها ومادتها؛ وهو القرآن، فقال: ﴿سَنَقِرُكَ فَلَا تَنْسَى﴾؛ أي: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونُوعِيهِ قَلْبَكَ، فلا تنسى منه شيئاً، وهذه بشارة من الله

كبيرة لعبده ورسوله محمد ﷺ؛ أن الله سيعلمه علماً لا ينساه.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ مما اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة وحكمة بالغة، ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا

يَخْفَى﴾ ومن ذلك أنه يعلم ما يصلح عباده؛ أي: فلذلك يشرع ما أراد، ويحكم بما يريد.

[٨] ﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ وهذه أيضاً بشارة أخرى، أن الله ييسر رسوله ﷺ لليسرى في جميع أموره،

ويجعل شرعه ودينه يسيراً.

[٩-١٣] ﴿فَذَكِّرْ﴾ بشرع الله وآياته ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾؛ أي: ما دامت الذكرى مقبولة، والموعظة

مسموعة، سواء حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه.

ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن

مأموراً بها؛ بل منهيّاً عنها، فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعون وغير منتفعين.

فأما المنتفعون، فقد ذكرهم بقوله: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ الله، فإن خشية الله تعالى، والعلم بمجازاته

على الأعمال توجب للعبد الانكفاف عما يكرهه الله والسعي في الخيرات.

وأما غير المنتفعين؛ فذكرهم بقوله: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ الذي يصلي النار الكبرى﴾ وهي النار

الموقدة التي تطلع على الأفئدة.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾؛ أي: يعذب عذاباً أليماً، من غير راحة ولا استراحة، حتى إنهم يتمنون

الموت فلا يحصل لهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْقَفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾

[فاطر: ٣٦].

[١٤-١٥] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾؛ أي: قد فاز وربح من طهر نفسه ونقاها من الشرك والظلم ومساوئ

الأخلاق، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾؛ أي: اتصف بذكر الله، وانصبغ به قلبه، فأوجب له ذلك العمل بما

يرضيه الله، خصوصاً الصلاة، التي هي ميزان الإيمان، فهذا معنى الآية الكريمة.

وأما من فسر قوله: ﴿تَزَكَّى﴾ يعني: أخرج زكاة الفطر، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾، أنه صلاة العيد،

فإنه وإن كان داخلاً في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنى وحده.

[١٦-١٧] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾؛ أي: تقدمونها على الآخرة، وتختارون نعيمها المنغص

المكدر الزائل على الآخرة.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ وللآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب، وأبقى لكونها دار خلد وبقاء

وصفاء، والدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود، ولا يبيع لذة ساعة، بترحة الأبد، فحبّ الدنيا وإيثارها على الآخرة رأس كل خطيئة.

[١٨-١٩] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور لكم في هذه السورة المباركة، من الأوامر الحسنة، والأخبار المستحسنة ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ اللذين هما أشرف المرسلين، بعد محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

فهذه أوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلى مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان.

تمت، والله الحمد



تفسير سورة الغاشية

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ وَجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ۝ غَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِيَةٍ ۝ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝ وَجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَارٍ مَبْثُوثَةٌ ۝﴾ [الغاشية]

[٧] يذكر تعالى أحوال يوم القيامة وما فيها من الأحوال الطامة، وأنها تغشى الخلائق بشدائدها، فيجازون بأعمالهم، ويتميزون إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير. فأخبر عن وصف كلا الفريقين:

[٢-٧] فقال في وصف أهل النار: ﴿وَجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿خَشِيعَةٌ﴾ من الدل، والفضيحة والخزي.

﴿غَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾؛ أي: تابعة في العذاب، تجر على وجوهها، ﴿وَتَغْشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم]. ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿وَجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ غَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ في الدنيا لكونهم في الدنيا أهل عبادات وعمل؛ ولكنه لما عدم شرطه وهو الإيمان؛ صار يوم القيامة هباء منثورا، وهذا الاحتمال وإن كان صحيحا من حيث المعنى؛ فلا يدل عليه سياق الكلام؛ بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول؛ لأنه قيده بالظرف، وهو يوم القيامة، ولأن المقصود هنا بيان ذكر أهل النار عموما، وذلك الاحتمال جزء قليل بالنسبة إلى أهل النار؛ ولأن الكلام في بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، فليس فيه تعرض لأحوالهم في الدنيا.

وقوله: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾؛ أي: شديدا حرها، تحيط بهم من كل مكان، ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِيَةٍ﴾؛ أي: شديدة الحرارة ﴿وَأَنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩] فهذا شرابهم.

وأما طعامهم فـ ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ ❶ لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿ وذلك لأن المقصود من الطعام أحد أمرين:

إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل عنه ألمه.

وإما أن يسمن بدنه من الهزال.

وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين؛ بل هو طعام في غاية المرارة والتن والخسة نسأل الله العافية.

[٨-١٦] وأما أهل الخير، فجوهمهم يوم القيامة ﴿نَاعِمَةٌ﴾؛ أي: قد جرت عليهم نصرة النعيم،

فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسرّوا غاية السرور.

﴿لِسَعْيِهَا﴾ الذي قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة، والإحسان إلى عباد الله، ﴿رَاضِيَةً﴾ إذ

وجدت ثوابه مدخرًا مضاعفًا، فحمدت عقباه، وحصل لها كل ما تتمناه، وذلك أنها ﴿فِي جَنَّةٍ﴾ جامعة

لأنواع النعيم كلها، ﴿عَالِيَةٍ﴾ في محلّها ومنازلها، فمحلّها في أعلى عليّين، ومنازلها مساكن عالية، لها

غرف ومن فوق الغرف غرف مبنية يشرفون منها على ما أعد الله لهم من الكرامة.

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ❷ [الحاقة] أي: كثيرة الفواكه اللذيذة، المثمرة بالثمار الحسنة، السهلة التناول،

بحيث ينالونها على أي حال كانوا، لا يحتاجون أن يصعدوا شجرة، أو يستعصي عليهم منها ثمرة.

﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا﴾؛ أي: الجنة ﴿لَغِيَّةٍ﴾؛ أي: كلمة لغو وباطل، فضلا عن الكلام المحرم؛ بل كلامهم

كلام حسن نافع مشتمل على ذكر الله تعالى، وذكر نعمه المتواترة عليهم، وعلى الآداب الحسنة بين

المتعاشرين، الذي يسر القلوب، ويشرح الصدور.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ وهذا اسم جنس أي: فيها العيون الجارية التي يفجرونها ويصرفونها كيف

شاؤوا، وأنى أرادوا.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ و«السُرر» جمع «سرير» وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من

الفرش اللينة الوطيئة.

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾؛ أي: أوان ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، قد وُضعت بين أيديهم، وأعدت

لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم، يطوف بها عليهم الولدان المخلدون.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾؛ أي: وسائد من الحرير والاستبرق وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله، قد صفت

للجلوس والالتكاء عليها، وقد أريحوا عن أن يضعوها، ويصفوها بأنفسهم.

﴿وَرَزَّابِي مَبْثُوثَةٌ﴾ والزرابي هي: البسط الحسان، مَبْثُوثَةٌ أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية]

[١٧-٢٠] يقول تعالى حثاً للذين لا يصدقون الرسول ﷺ، ولغيرهم من الناس أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على توحيده: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؛ أي: ألا ينظرون إلى خلقها البديع، وكيف سخرها الله للعباد، وذلها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها.

﴿وَالِ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ بهيئة باهرة، حصل بها الاستقرار للأرض وثباتها عن الاضطراب، وأودع الله فيها من المنافع الجليلة ما أودع.

﴿وَالِ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؛ أي: مُدَّتْ مَدًّا واسعًا، وسهلت غاية التسهيل، ليستقر العباد على ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وغراسها، والبنيان فيها، وسلوك طرقها الموصلة إلى أنواع المقاصد فيها. واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة؛ كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصًا في هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعيد، فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدًا، الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر. وأما جسم الأرض الذي هو كبير جدا واسع، فيكون كرويًا مسطحًا، ولا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة.

[٢١-٢٢] ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾؛ أي: ذكر الناس وعظهم، وأنذرهم وبشرهم، فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلى الله وتذكيرهم، ولم تبعث عليهم مسيطرًا عليهم، مسلطًا موكلًا بأعمالهم، فإذا قمت بما عليك، فلا عليك بعد ذلك لوم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٢٥﴾﴾ [ق].

[٢٣-٢٤] وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾؛ أي: لكن من تولى عن الطاعة وكفر بالله ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾؛ أي: الشديد الدائم.

[٢٥-٢٦] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾؛ أي: رجوع الخلائق وجمعهم في يوم القيامة.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ على ما عملوا من خير وشر.

والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة الفجر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي

حِجْرِ ۝﴾ [الفجر]

[١-٥] الظاهر أن المقسم عليه هو المقسم به، وذلك جائز مستعمل، إذا كان أمراً ظاهراً مهماً، وهو كذلك في هذا الموضع.

فأقسم تعالى بالفجر، الذي هو آخر الليل ومقدمة النهار، لما في إدبار الليل وإقبال النهار، من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وأنه هو المدبر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة، يحسن أن يقسم الله بها، ولهذا أقسم بعده بالليالي العشر، وهي على الصحيح: ليالي عشر رمضان، أو عشر ذي الحجة، فإنها ليال مشتملة على أيام فاضلة، ويقع فيها من العبادات والقربات ما لا يقع بغيرها.

وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها، صيام آخر رمضان الذي هو ركن من أركان الإسلام.

وفي أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرةً يحزن لها الشيطان، فإنه ما رئي الشيطان أحقر ولا أذحر منه في يوم عرفة، لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله على عباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة أن يقسم الله بها.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾؛ أي: وقت سريانه وإرخائه ظلامه على العباد، فيسكنون ويستريحون ويطمئنون،

رحمة منه تعالى وحكمة.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾؛ أي: لذي عقل؟ نعم، بعض ذلك يكفي، لمن كان له

قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر]

[٦-١٤] يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بقلبك وبصيرتك كيف فعل بهذه الأمم الطاغية، عاد وهي: ﴿إِرَمَ﴾ القبيلة المعروفة في اليمن ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾؛ أي: القوة الشديدة، والعتو والتجبر.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ﴾؛ أي: في جميع البلدان في القوة والشدة؛ كما قال لهم نبيهم هود عليه السلام: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف].

﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾؛ أي: وادي القرى، نحتوا بقوتهم الصخور، فاتخذوها مساكن، ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾؛ أي: ذي الجنود الذين ثبتوا ملكه، كما تثبت الأوتاد وما يراد إمساكه بها، ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ﴾ هذا الوصف عائد إلى عاد وثمود وفرعون ومن تبعهم، فإنهم طغوا في بلاد الله، وآذوا عباد الله، في دينهم ودنياهم، ولهذا قال: ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ وهو العمل بالكفر وشعبه، من جميع أجناس المعاصي، وسعوا في محاربة الرسل وصدّ الناس عن سبيل الله، فلما بلغوا من العتو ما هو موجب لهلاكهم، أرسل الله عليهم من عذابه ذنوبًا وسوط عذاب، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ لمن يعصيه يمهله قليلا ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر]

[١٥-٢٠] يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه جاهل ظالم، لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول، ويظن أن إكرام الله في الدنيا وإنعامه عليه يدل على كرامته عنده وقربه منه، وأنه إذا ﴿قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾؛ أي: ضيقه، فصار يقدر قوته لا يفضل عنه، أن هذا إهانة من الله له، فرد الله عليه هذا الحساب: فقال: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ليس كل من نعمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدّرت عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغنى والفقر، والسعة والضيق = ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد؛ ليرى من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل، ممّن ليس كذلك

فينقله إلى العذاب الوبيل.

وأيضاً، فإنَّ وقوف همّة العبد عند مراد نفسه فقط، من ضعف الهمة، ولهذا لا مهّم الله على عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ الذي فقد أباه وكاسبه، واحتاج إلى جبر خاطره والإحسان إليه.

فأنتم لا تكرمونه؛ بل تهينونه، وهذا يدل على عدم الرحمة في قلوبكم، وعدم الرغبة في الخير.

﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾؛ أي: لا يحض بعضكم بعضاً على إطعام المحاويج من الفقراء والمساكين، وذلك لأجل الشُّح على الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكّنة من القلوب، ولهذا قال:

﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ﴾؛ أي: المال المخلف ﴿أَكَلًا لَّمًّا﴾؛ أي: ذريعاً، لا تبقون على شيء منه.

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾؛ أي: شديداً، وهذا كقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ﴾ [الأعلى]، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۖ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۖ﴾ [القيامة].

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۖ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۖ يَقُولُ يَلَيِّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ۖ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ۖ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدٌ ۖ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ۖ فَأَدْخِلِي فِي عَبْدِي ۖ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ۖ﴾ [الفجر]

[٢١-٢٤] ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ليس كل ما أحببتهم من الأموال، وتنافستم فيه من اللذات، بباقي لكم؛ بل أمامكم يوم عظيم، وهول جسيم، تُدَكُّ فيه الأرض والجبال وما عليها حتى تجعل قاعاً صفصفاً لا عوج فيه ولا أمّتا.

ويجيء الله لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، ويجيء الملائكة الكرام، أهل السموات كلهم، ﴿صَفًّا صَفًّا﴾؛ أي: صفّاً بعد صف، كل سماءٍ يجيء ملائكتها صففاً، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوعٍ وذلل للملك الجبار.

﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تقودها الملائكة بالسلاسل.

فإذا وقعت هذه الأمور فـ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ ما قدّمه من خير وشر.

﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ فقد فات أوانها، وذهب زمانها.

﴿يَقُولُ﴾ متحسراً على ما فرط في جنب الله: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ الباقية الدائمة، عملاً صالحاً؛ كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي أُتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أُتَّخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان].

وفي هذا دليل على أن الحياة التي ينبغي السعي في كمالها وتحصيلها وكمالها ^(١)، وفي تميم لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء.

[٢٦-٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ﴾ لمن أهمل ذلك اليوم ونسي العمل له.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ﴾ فإنهم يُقرنون بسلاسل من نار، ويسحبون على وجوههم في الحميم، ثم في النار يسجرون، فهذا جزاء المجرمين.

[٣٠-٢٧] وأما من آمن بالله واطمأن به وصدق رسله، فيقال له: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى ذكر الله، الساكنة إلى حبه، التي قرت عينها بالله ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ الذي رباك بنعمته، وأسدى عليك من إحسانه ما صرت به من أوليائه وأحبابه ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾؛ أي: راضية عن الله، وعما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ وهذا تخاطب به الروح يوم القيامة، وتخاطب وقت السياق والموت.

والحمد لله رب العالمين.



(١) في نسخة: التي ينبغي السعي في أصلها وكمالها.

تفسير سورة ﴿لَا أُقْسِمُ﴾

وهي مكية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ۝ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ۝﴾ [البلد]

[١-٣] يقسم تعالى ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ الأمين، وهو مكة المكرمة، أفضل البلدان على الإطلاق، خصوصاً وقت حلول الرسول ﷺ فيها، ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾؛ أي: آدم وذريته.

[٤-٧] والمقسم عليه قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم.

وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد.

ويحتمل أن المعنى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وأقوم خلقة، يقدر على التصرف والأعمال الشديدة، ومع ذلك، فإنه لم يشكر الله على هذه النعمة العظيمة؛ بل بطر بالعافية وتجبر على خالقه، فحسب بجهله وظلمه أن هذه الحال ستدوم له، وأن سلطان تصرفه لا ينزل، ولهذا قال تعالى:

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ويطغى ويفتخر بما أنفق من الأموال على شهوات نفسه؛ فـ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾؛ أي: كثيراً، بعضه فوق بعض.

وسمى الله تعالى الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكاً، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود

عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلّة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير؛ فإن هذا قد تاجر مع الله، وربح أضعاف أضعاف ما أنفق.

قال الله متوعداً هذا الذي افتخر بما أنفق في الشهوات: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾؛ أي: أيظن في فعله هذا، أن الله لا يراه ويحاسبه على الصّغير والكبير؟

بل قد رآه الله، وحفظ عليه أعماله، ووكل به الكرام الكاتبين، لكل ما عمله من خير وشر.

[٨-١٠] ثم قرّره بنعمه، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا، ثم قال في نعم الدين: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾؛ أي: طريقي الخير والشر، بينا له الهدى من الضلال، والرشد من الغي.

فهذه المنن الجزيلة، تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكره على نعمه، وألا يستعين بها على معاصيه.

[١١] ولكن هذا الإنسان لم يفعل ذلك ﴿فَلَا أَفْتَحَمُ الْعُقَبَةَ﴾؛ أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لشهواته، وهذه العقبة شديدة عليه.

[١٢-١٦] ثم فسر هذه العقبة بقوله: ﴿فَكُ رَقَبَةٍ﴾؛ أي: فكها من الرق بعقبتها أو مساعدتها على أداء كتابتها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار.

﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾؛ أي: مجاعة شديدة؛ بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾؛ أي: جامعاً بين كونه يتيمًا، وفقيرًا ذا قرابة.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾؛ أي: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة.

[١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وعملوا الصالحات؛ أي: آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان به،

وعملوا الصالحات بجوارحهم، فدخل في هذا كل قول وفعل واجب أو مستحب ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة بأن يحث بعضهم بعضاً على الانقياد لذلك، والإتيان به كاملاً منشراحاً به الصدر، مطمئنة به النفس.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ للخلق، من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من

جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحبّ لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه.

[١٨] ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين قاموا بهذه الأوصاف، الذين وفّقهم الله لاقتحام هذه العقبة ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ لأنهم أدّوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده، وتركوا ما نهوا عنه، وهذا عنوان السعادة وعلامتها.

[١٩-٢٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ بأن نبذوا هذه الأمور وراء ظهورهم، فلم يصدّقوا بالله، ولا آمنوا به، ولا عملوا صالحاً، ولا رحموا عباد الله، أولئك ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾؛ أي: مغلقة، في عمد ممددة، قد مدّت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهمّ وشدة.

والحمد لله.



تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ١١ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ١٥﴾ [الشمس]

[١-٦] أقسم تعالى بهذه الآيات العظيمة، على النفس المفلحة، وغيرها من النفوس الفاجرة، فقال:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾؛ أي: نورها، ونفعها الصادر منها.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾؛ أي: تبعها في المنازل والنور.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾؛ أي: جلَّى ما على وجه الأرض وأوضحه.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾؛ أي: يغشى وجه الأرض، فيكون ما عليها مظلمًا.

فتعاقب الظلمة والضياء، والشمس والقمر، على هذا العالم، بانتظام وإتقان، وقيام لمصالح العباد، أكبر دليل على أن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه المعبود وحده، الذي كل معبود سواه فباطل.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ يحتمل أن «ما» موصولة، فيكون الإقسام بالسما وبانيها، وهو الله تبارك وتعالى، ويحتمل أنها مصدرية، فيكون الإقسام بالسما وبانيها، الذي هو غاية ما يقدر من الإحكام والإتقان والإحسان، ونحو هذا قوله: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾؛ أي: مدها ووسعها، فتمكن الخلق حينئذ من الانتفاع بها، بجميع أوجه الانتفاع.

[٧-٨] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ يحتمل أن المراد ونفس سائر المخلوقات الحيوانية، كما يؤيد هذا

العموم، ويحتمل أن الإقسام بنفس الإنسان المكلف، بدليل ما يأتي بعده.

وعلى كل، فالنفس آية كبيرة من آياته التي يحق بالإقسام بها فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة والتغير والتأثر والانفعالات النفسية، من الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة.

[٩-١٠] وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾؛ أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح.

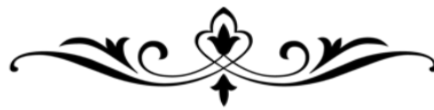
﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾؛ أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالذائل، والدنو من العيوب، والذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها.

[١١-١٥] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾؛ أي: بسبب طغيانها وترفعها عن الحق، وعتوها على رسلوهم. ﴿إِذِ اتَّبَعَتْ أَشْقَاهَا﴾؛ أي: أشقى القبيلة، وهو «قُدار بن سالف» لعقرها حين اتفقوا على ذلك، وأمره فاطر لهم.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صالح عليه السلام ﴿مَحذَرًا: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾؛ أي: احذروا عقر ناقة الله، التي جعلها لكم آية عظيمة، ولا تقابلوا نعمة الله عليكم بسقي لبنها أن تعقروها، فكذبوا نبيهم صالحًا. ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: دمر عليهم وعمهم بعقابه، وأرسل عليهم الصيحة من فوقهم، والرَّجفة من تحتهم، فأصبحوا جاثمين على ركبهم، لا تجد منهم داعيًا ولا مجيبًا. ﴿فَسَوَّاهَا﴾ عليهم أي: سوى بينهم بالعقوبة.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾؛ أي: تبعثها. وكيف يخاف من هو قاهر، لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق، الحكيم في كل ما قضاه وشرعه؟

تمت والله الحمد



تفسير سورة ﴿وَاللَّيْلِ﴾

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ١٣ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ٢١﴾ [الليل]

[١-٢] هذا قسمٌ من الله بالزمان الذي تقع فيه أفعال العباد على تفاوت أحوالهم؛ فقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا

يَغْشَىٰ﴾؛ أي: يعم الخلق بظلامه، فيسكن كلُّ إلى مأواه ومسكنه، ويستريح العباد من الكد والتعب.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ للخلق، فاستضاءوا بنوره، وانتشروا في مصالحهم.

[٣] ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ إن كانت «ما» موصولة، كان إقسامًا بنفسه الكريمة الموصوفة،

بكونه خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية؛ كان قسمًا بخلقه للذكر والأنثى، وكمال حكمته في

ذلك أن خلق من كل صنف من الحيوانات التي يريد إبقاؤها ذكرًا وأنثى، ليبقى النوع ولا يضمحل، وقاد

كلًّا منهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلا منهما مناسبًا للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

[٤] وقوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هذا هو المقسم عليه؛ أي: إن سعيكم أيها المكلفون لمتفاوت

تفاوتًا كثيرًا، وذلك بحسب تفاوت نفس الأعمال ومقدارها والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة

بتلك الأعمال، هل هو وجه الله الأعلى الباقي؟ فيبقى العمل له ببقائه، ويتنفع به صاحبه، أم هي غاية

مضمحلة فانية، فيبطل السعي بطلانها، ويضمحل باضمحلها؟

وهذا كل عمل يقصد به غير وجه الله تعالى، بهذا الوصف.

[٧-٥] ولهذا فصل الله تعالى العاملين، ووصف أعمالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾؛ أي ما أمر به من العبادات المالية، كالزكوات، والكفارات والنفقات، والصدقات، والإنفاق في وجوه الخير، والعبادات البدنية كالصلاة، والصوم وغيرهما، والمرغبة من ذلك، كالحج والعمرة ونحوهما، ﴿وَأَتَّقَى﴾ ما نهى عنه، من المحرمات والمعاصي، على اختلاف أجناسها.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾؛ أي: صدق بـ«لا إله إلا الله» وما دلت عليه، من جميع العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي.

﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾؛ أي: نيسر عليه أمره، ونجعله مسهلاً عليه كل خير، ميسراً له ترك كل شر؛ لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك.

[٨-١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بما أمر به، فترك الإنفاق الواجب والمستحب، ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب لله، ﴿وَأَسْتَغْنَى﴾ عن الله، فترك عبوديته جانباً، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها، الذي لا نجاة لها ولا فوز ولا فلاح، إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها، الذي تقصده وتتوجه إليه.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾؛ أي: بما أوجب الله على العباد التصديق به من العقائد الحسنة.

﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾؛ أي: للحالة العسرة، والخصال الذميمة، بأن يكون ميسراً للشر أينما كان، ومقيضاً له أفعال المعاصي، نسأل الله العافية.

[١١] ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ الذي أطعاه واستغنى به، وبخل به إذا هلك ومات، فإنه لا يصحب الإنسان إلا عمله الصالح.

وأما ماله الذي لم يخرج منه الواجب؛ فإنه يكون وبالاً عليه، إذ لم يقدم منه لآخرته شيئاً.

[١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾؛ أي: إن الهدى المستقيم طريقه، يوصل إلى الله، ويديني من رضاه، وأما الضلال، فطرقة مسدودة عن الله، لا توصل صاحبها إلا للعذاب الشديد.

[١٣] ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ ملكاً وتصرفاً، ليس له فيهما مشارك، فليرغب الراغبون إليه في الطلب، ولينقطع رجاؤهم عن المخلوقين.

[١٤-١٦] ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾؛ أي: تستعر وتتوقد.

﴿لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ الذي كذب بالخبر ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الأمر.

[١٧-٢١] ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ الذي يؤتي ماله ويتزكى بأن يكون قصده به تركية نفسه، وتطهيرها

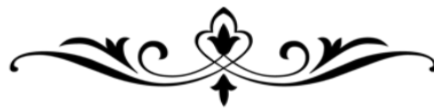
من الذنوب والأدناس، قاصداً به وجه الله تعالى، فدل هذا على أنه إذا تَضَمَّنَ الإنفاق المستحب ترك واجب؛ كدين ونفقة ونحوهما = فإنه غير مشروع؛ بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء؛ لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾؛ أي: ليس لأحد من الخلق على هذا الأتقى نعمة تجزى إلا وقد كافأ عليها، وربما بقي له الفضل والمنة على الناس، فتمحض عبداً لله؛ لأنه رقيق إحسانه وحده، وأما من بقيت عليه نعمة الناس لم يجزها ويكافئها؛ فإنه لا بد أن يترك للناس، ويفعل لهم ما ينقص إخلاصه.

وهذه الآية، وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ بل قد قيل: إنها قد نزلت بسببه، فإنه رضي الله عنه ما لأحد عنده من نعمة تجزى، حتى ولا رسول الله ﷺ، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي نعمة الدعوة إلى دين الإسلام، وتعليم الهدى ودين الحق، فإن الله ورسوله المنة على كل أحد، منة لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى.

ولهذا قال: ﴿إِلَّا أُبْتَغَاءَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۚ وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ هذا الأتقى بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات.

والحمد لله رب العالمين.



تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿وَالضُّحَىٰ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ٤
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ
عَابِلًا فَأَغْنَىٰ ٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
فَحَدِّثْ ١١ ﴿[الضحى]

[١-٣] أقسم تعالى بالنهار إذا انتشر ضياؤه: بالضحى، وبالليل ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ وادلهمت ظلمته؛ على اعتناء الله برسوله ﷺ فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾؛ أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ رباك ورعاك؛ بل لم يزل يربيك أكمل تربية، ويعليك درجة بعد درجة، ﴿وَمَا﴾ قلاك الله؛ أي: ما أبغضك منذ أحبك، [فإن نفي الضد دليل على ثبوت ضده، والنفي المحض لا يكون مدحا، إلا إذا تضمن ثبوت كمال]، فهذه حال الرسول ﷺ الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها، وترقيته في درجات الكمال، ودوام اعتناء الله به.

[٤] وأما حاله المستقبلية، فقال: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾؛ أي: كل حالة متأخرة من أحوالك، فإن لها الفضل على الحالة السابقة، فلم يزل ﷺ يصعد في درجات المعالي ويمكن له الله دينه، وينصره على أعدائه، ويسدده في أحواله، حتى مات، وقد وصل إلى حال ما وصل إليها الأولون والآخرون، من الفضائل والنعم، وقرة العين، وسرور القلب.

[٥] ثم بعد هذا، لا تسأل عن حاله في الآخرة، من تفاصيل الإكرام، وأنواع الإنعام، ولهذا قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾، وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه إلا بهذه العبارة الجامعة الشاملة.

[٦-٨] ثم امتن عليه بما يعلمه من أحواله الخاصة فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾؛ أي: وجدك لا

أم لك، ولا أب، بل قد مات أبوه وأمه وهو لا يدبر نفسه، فأواه الله، وكفله جدّه عبدُ المطلب، ثم لما مات جدّه كفله الله عمّه أبا طالب، حتى أیده الله بنصره وبالمؤمنين، ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾؛ أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق، ﴿وَوَجَدَكَ غَائِلًا﴾؛ أي: فقيرًا، فأغناك الله بم فتح عليكمم البلدان، التي جبيت لك أموالها وخراجها، فالذي أزال عنك هذه النقائص، سيزيل عنك كل نقص، والذي أوصلك إلى الغنى، وآواك ونصرک وهداك، قابل نعمته بالشكران.

[٩-١١] ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾؛ أي: لا تسيء معاملة اليتيم، ولا يضق صدرك عليه، ولا تنهره، بل أكرمه، وأعطه ما تيسر، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾؛ أي: لا يصدر منك كلام إلى السائل يقتضي رده عن مطلوبه، بنهر وشراسة خلق، بل أعطه ما تيسر عندك أو رده بمعروف وإحسان، وهذا يدخل فيه السائل للمال، والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه، فإن في ذلك معونة له على مقصده، وإكرامًا لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وهذا يشمل النعم الدينية والدنيوية؛ أي: أثن على الله بها، وخصها بالذكر إن كان هناك مصلحة، وإلا؛ فحدث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله، داع لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن.



تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح]

[١-٤] يقول تعالى ممتناً على رسوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾؛ أي: نوسعه لشرائع الدين والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات فلم يكن ضيقاً حرجاً، لا يكاد ينقاد لخير، ولا تكاد تجده منبسطة، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾؛ أي: ذنبك، ﴿الَّذِي أَنْقَضَ﴾؛ أي: أثقل ﴿ظَهْرَكَ﴾ كما قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾؛ أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكراً معه رسوله ﷺ، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلی الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ، وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبياً عن أمته.

[٥-٦] وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ بشارة عظيمة، أنه كلما وُجدَ عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، وكما قال النبي ﷺ: «وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً».

وتعريف (العسر) في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير (اليسر) يدل على تكراره، فلن يغلب عسر

وفي تعريفه بالألف واللام الدال على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر - وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ - فإنه في آخره التيسير ملازم له.

[٧ - ٨] ثم أمر الله رسوله أصلاً، والمؤمنين تبعاً، بشكره والقيام بواجب نعمه، فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾؛ أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يُعَوِّقُهُ، فاجتهد في العبادة والدعاء، ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وحده ﴿فَارْغَبْ﴾؛ أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول دعواتك، ولا تكن ممن إذا فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين. وقد قيل: إن معنى هذا: فإذا فرغت من الصلاة وأكملتها، فانصب في الدعاء، وإلى ربك فارغب في سؤال مطالبك.

واستدل من قال هذا القول، على مشروعية الدعاء والذكر عقب الصلوات المكتوبات، والله أعلم.

وبذلك تمت، والله الحمد.





تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿وَالْتِّينِ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ١ وَطُورِ سَيْنِينَ ٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ٥ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ٨﴾ [التين]

[١ - ٣] ﴿التِّينِ﴾ هو التين المعروف، وكذلك ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ أقسم بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسى ابن مريم عليه السلام، ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾؛ أي: طور سيناء، محل نبوة موسى عليه السلام، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ وهو: مكة المكرمة، محل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فأقسم تعالى بهذه المواضع المقدسة، التي اختارها وابتعث منها أفضل الأنبياء وأشرفهم.

[٤] والمقسم عليه قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ أي: تامّ الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهراً وباطناً شيئاً.

[٥ - ٦] ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشغولون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق، فردهم الله في أسفل سافلين، أي: أسفل النار، موضع العصاة المتمردين على ربهم، إلا من آمن بالله عليه بالإيمان والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة العالية، ﴿فَلَهُمْ﴾ بذلك المنازل العالية، و﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: غير مقطوع، بل لذات متوافرة، وأفراح متواترة، ونعم متكاثرة، في أبد لا يزول، ونعيم لا يحول، أكلها دائم وظلها.

[٧ - ٨] ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾؛ أي: أي شيء يكذبك أيها الإنسان بيوم الجزاء على الأعمال، وقد رأيت من آيات الله الكثيرة ما يحصل لك به اليقين، ومن نعمه ما يوجب عليك ألا تكفر بشيء منها.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟ أم الذي خلق الإنسان أطوارًا بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه، ورباهم التربية الحسنة، لا بد أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم وغايتهم، التي إليها يقصدون، ونحوها يؤمنون.

تمت والحمد لله



تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿أَقْرَأْ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ٦ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ٨ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ١٠ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ١٢ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١٣ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ١٤ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ ١٩ وَاقْتَرِبْ ٢٠﴾ [العلق]

[١] هذه السورة أول السور القرآنية نزولاً على رسول الله ﷺ؛ فإنها نزلت عليه في مبادئ النبوة، إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بالرسالة، وأمره أن يقرأ، فامتنع، وقال: «ما أنا بقارئ»، فلم يزل به حتى قرأ؛ فأنزل الله عليه: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ عموم الخلق.

[٢] ثم خص الإنسان، وذكر ابتداء خلقه ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾، فالذي خلق الإنسان واعتنى بتدبيره لا بد أن يدبره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ولهذا أتى بعد الأمر بالقراءة بخلق الإنسان.

[٣ - ٥] ثم قال: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾؛ أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، الذي من كرمه أن علّم أنواع العلوم، و﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، فإنه تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم، فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تُحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلاً للناس تنوب مناب خطابهم، فله الحمد والمنة، الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرّون لها على جزاء ولا شكور، ثم منّ عليهم بالغنى وسعة الرزق.

[٦-٨] ولكن الإنسان -لجهله وظلمه- إذا رأى نفسه غنياً، طغى وبغى وتجرع عن الهدى، ونسى أن إلى ربه ﴿الرَّجْعَى﴾، ولم يخفِ الجزاء؛ بل ربما وصلت به الحال أنه يترك الهدى بنفسه، ويدعو غيره إلى تركه، فينهى عن الصلاة التي هي أفضل أعمال الإيمان.

[٩-١٤] يقول الله لهذا المتمرد العاقي: ﴿أَرَأَيْتَ﴾؛ أيها الناهي للعبد إذا صلى ﴿إِنْ كَانَ﴾ العبد المصلي ﴿عَلَى الْهُدَى﴾ العلم بالحق والعمل به، ﴿أَوْ أَمَرَ﴾ غيره ﴿بِالتَّقْوَى﴾، فهل يحسن أن ينهى، من هذا وصفه؟ أليس نبيه من أعظم المحادة لله، والمحاربة للحق؟ فإن النهي لا يتوجه إلا لمن هو في نفسه على غير الهدى، أو كان يأمر غيره بخلاف التقوى، ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ الناهي بالحق ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الأمر، أما يخاف الله ويخشى عقابه؟ ﴿أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ما يعمل ويفعل؟

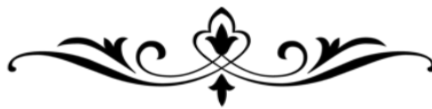
[١٥-١٦] ثم توعده إن استمر على حاله، فقال: ﴿كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عما يقول ويفعل ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾؛ أي: لنأخذن بناصيته، أخذًا عنيماً، وهي حقيقة بذلك، فإنها ﴿نَاصِيَةٌ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ﴾؛ أي: كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

[١٧-١٨] ﴿فَلْيَدْعُ﴾ هذا الذي حق عليه العذاب ﴿نَادِيَهُ﴾؛ أي: أهل مجلسه وأصحابه ومن حوله، ليعينوه على ما نزل به، ﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾؛ أي: خزنة جهنم، لأخذه وعقوبته، فليُنظر أي: الفريقين أقوى وأقدر؟ فهذه حالة الناهي وما تُوعَد به من العقوبة.

[١٩] وأما حالة المنهي، فأمره الله ألا يصغي إلى هذا الناهي ولا ينقاد لنهييه فقال: ﴿كَلاَّ لَا تُطِيعُهُ﴾؛ أي: فإنه لا يأمر إلا بما فيه خسارة، ﴿وَأَسْجُدْ﴾ لربك ﴿وَأَقْتَرِبْ﴾ منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات، فإنها كلها تُدني من رضاه وتقرب منه.

وهذا عامٌ لكل ناهٍ عن الخير ومنهي عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة، وعذبه وآذاه.

تمت، والحمد لله رب العالمين.



تفسير سورة القدر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝﴾ [القدر]

[١] يقول تعالى مبيناً لفضل القرآن وعلو قدره: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾، وذلك أن الله تعالى، ابتداءً بإنزال القرآن في رمضان في ليلة القدر، ورحم الله بها العباد رحمة عامة، لا يقدر العباد لها شكراً، وسميت ليلة القدر، لعظم قدرها وفضلها عند الله، ولأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الأجل والأرزاق والمقادير القدريّة.

[٢] ثم فخم شأنها وعظم مقدارها، فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾؛ أي: فإن شأنها جليل وخطرها عظيم.

[٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛ أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر خالية منها، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندهش له العقول، حيث منّ تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة والقوى، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عُمر رجل معمر عمراً طويلاً، نيّفاً وثمانين سنة.

[٤] ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾؛ أي: يكثر نزولهم فيها ﴿مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾.

[٥] ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾؛ أي: سالمة من كل آفة وشر، وذلك لكثرة خيرها، ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾؛ أي: مبتدأها من غروب الشمس ومنتهاها طلوع الفجر.

وقد تواترت الأحاديث في فضلها، وأنها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه، خصوصاً في أوتاره، وهي باقية في كل سنة إلى قيام الساعة، ولهذا كان النبي ﷺ، يعتكف، ويكثر من التعبد في العشر الأواخر من

رمضان، رجاء ليلة القدر.

والله أعلم



تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿لَمْ يَكُنْ﴾

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتِبَ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة]

[١] يقول تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾؛ أي: من اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ من سائر أصناف الأمم.

﴿مُنْفَكِينَ﴾ عن كفرهم وضلالهم الذي هم عليه؛ أي: لا يزالون في غيهم وضلالهم، لا يزيدهم مرور الأوقات إلا كفرًا ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ الواضحة والبرهان الساطع.

[٢-٣] ثم فسر تلك البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾؛ أي: أرسله الله، يدعو الناس إلى الحق، وأنزل عليه كتابًا يتلوه، ليعلم الناس الحكمة ويزكيهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ولهذا قال: ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾؛ أي: محفوظة من قربان الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون، لأنها أعلى ما يكون من الكلام؛ ولهذا قال عنها: ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في تلك الصحف ﴿كُتِبَ قَيِّمَةٌ﴾؛ أي: أخبار صادقة، وأوامر عادلة تهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فإذا جاءت هذه البينة فحينئذ يتبين طالب الحق ممن ليس له مقصد في طلبه، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة.

[٤] وإذا لم يؤمن أهل الكتاب لهذا الرسول وينقادوا له، فليس ذلك ببدع من ضلالهم وعنادهم،

فإنهم ما تفرَّقوا واختلفوا وصاروا أحزابًا ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ التي توجب لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنهم لرداءتهم ونذالتهم لم يزدهم الهدى إلا ضلالًا ولا البصيرة إلا عمى.

[٥] مع أن الكتب كلها جاءت بأصل واحد ودين واحد، فما أمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا ﴿اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾؛ أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله وطلب الزُلفى لديه، ﴿حُنَفَاءَ﴾؛ أي: معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد، وخصَّ الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله: ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ لفضلهما وشرفهما وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين، ﴿وَذَلِكَ﴾ التوحيد والإخلاص في الدين، هو ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾؛ أي: الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم.

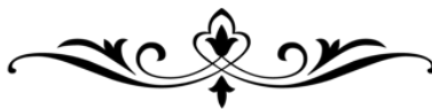
[٦] ثم ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البينة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ قد أحاط بهم عذابها، واشتد عليهم عقابها، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يُفتر عنهم العذاب، وهم فيها ملبسون، ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ لأنهم عرفوا الحق وتركوه وخسروا الدنيا والآخرة.

[٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ لأنهم عبدوا الله وعرفوه وفازوا بنعيم الدنيا والآخرة.

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة]

[٨] ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾؛ أي: جنات إقامة، لا ظعن فيها ولا رحيل ولا طلب لغاية فوقها، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فرضي عنهم بما قاموا به من مرضيه، ورضوا عنه بما أعد لهم من أنواع الكرامات وجزيل المثوبات ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء الحسن ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾؛ أي: لمن خاف الله فأحجم عن معاصيه وقام بما أوجب عليه.

تمت والحمد لله



تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾

وهي مدنية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة]

[٢-١] يخبر تعالى عما يكون يوم القيامة، وأن الأرض تتزلزل وترجف وترجح حتى يسقط ما عليها من بناء ومعلم، فتندك جبالها وتسوى تلالها وتكون قاعاً صفصفاً لا عوج فيه ولا أمتاً، ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾؛ أي: ما في بطنها، من الأموات والكنوز.

[٣] ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾ إذا رأى ما عراها من الأمر العظيم مستعظماً لذلك: ﴿مَا لَهَا﴾؛ أي: أي شيء عرض لها؟! عرض لها؟!

[٥-٤] ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ الأرض ﴿أَخْبَارَهَا﴾؛ أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر؛ فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم، ذلك ﴿يَا أَيُّهَا رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾؛ أي أمرها أن تخبر بما عمل عليها؛ فلا تعصى لأمره.

[٦] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ من موقف القيامة، حين يقضي الله بينهم ﴿أَشْتَاتًا﴾؛ أي: فرقًا متفاوتين؛ ﴿لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾؛ أي: ليريهم الله ما عملوا من السيئات والحسنات، ويريهم جزاءه موفراً.

[٧-٨] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، وهذا شامل عامٌّ للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مِثْقَالَ الذرة، التي هي أحقر الأشياء، وجوزيَ عليها فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْذِ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾، ﴿وَوَجَدُوا مَّا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾، وهذه الآية فيها غاية الترغيب في

فعل الخير ولو قليلاً، والترهيب من فعل الشر ولو حقيراً.



تفسير سورة العاديات

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا ﴿١﴾ فَأَلْمُورِيَّتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٣﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾
 * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [العاديات]

[١] أقسم الله تبارك وتعالى بالخيال، لما فيها من آياته الباهرة ونعمه الظاهرة ما هو معلوم للخلق، وأقسم تعالى بها في الحال التي لا يشاركها فيه غيرها من أنواع الحيوانات، فقال: ﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا﴾؛ أي: العاديات عدواً بليغاً قوياً، يصدر عنه الضبح، وهو صوت نفسها في صدرها، عند اشتداد عدوها.
 [٢] ﴿فَأَلْمُورِيَّتِ﴾ بحوافرهن ما يطأن عليه من الأحجار ﴿قَدْحًا﴾؛ أي: تنقذح النار من صلابة حوافرهن وقوتهن إذا عدون.

[٣] ﴿فَأَلْمُغِيرَاتِ﴾ على الأعداء ﴿صَبْحًا﴾، وهذا أمر أغلبي أن الغارة تكون صباحاً.

[٤-٥] ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾؛ أي: بعدوهن وغارتهم ﴿نَقْعًا﴾؛ أي: غباراً، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾؛ أي: براكبهن ﴿جَمْعًا﴾؛ أي: توسطن به جموع الأعداء الذين أغار عليهم.

[٦] والمقسم عليه قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾؛ أي: لمنوع للخير الذي عليه لربه، فطبيعة الإنسان وجبلته أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق فتؤديها كاملة موفرة؛ بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليه من الحقوق المالية والبدنية؛ إلا من هداه الله وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق.

[٧] ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾؛ أي: إن الإنسان على ما يعرف من نفسه من المنع والكند لشاهد بذلك لا يجحده ولا ينكره؛ لأن ذلك أمر بيّن واضح، ويحتمل أن الضمير عائد إلى الله تعالى؛ أي: إن

العبد لربه لكنود والله شهيد على ذلك، ففيه الوعيد والتَّهْدِيد لمن هو لربه كنود بأن الله عليه شهيد.

[٨] ﴿وَإِنَّهُ﴾؛ أي: الإنسان ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾؛ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: كثير الحب للمال، وحبّه لذلك هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة عليه، قدم شهوة نفسه على رضاه ربه، وكل هذا لأنه قَصَرَ نظره على هذه الدار، وغفل عن الآخرة.

[٩-١٠] ولهذا قال حاثًا له على خوف يوم الوعيد: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾؛ أي: هَلَّا يعلم هذا المغتر ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾؛ أي: أخرج الله الأموات من قبورهم لحشرهم ونشورهم، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾؛ أي: ظهر وبان ما فيها وما استتر في الصدور من كمائن الخير والشر، فصار السر علانية، والباطن ظاهرًا، وبان على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم.

[١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾؛ أي: مطلع على أعمالهم الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، ومجازيهم عليها، وخص خبرهم بذلك اليوم مع أنه خير بهم كل وقت؛ لأن المراد بذلك الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه.



تفسير سورة القارعة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ١١﴾ [القارعة]

[١-٣] ﴿الْقَارِعَةُ﴾ من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تفرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظم أمرها وفخمه بقوله: ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣.

[٤] ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾ من شدة الفزع والهول، ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾؛ أي: كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، والفراش: هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أوقد لها نارٌ تهافتت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول.

[٥] وأما الجبال الصُّمُّ الصُّلَابُ، فتكون ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾؛ أي: كالصوف المنفوش الذي بقي ضعيفاً جداً، تطير به أدنى ريح.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾، ثم بعد ذلك تكون هباءً ماثوراً، فتضمحل ولا يبقى منها شيء يشاهد؛ فحينئذ تنصب الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء.

[٦-٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾؛ أي: رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ في جنات النعيم.

[٨-١١] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته، ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾؛ أي: مأواه ومسكنه النار، التي من أسمائها (الهاوية)، تكون له بمنزلة الأم الملازمة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾، وقيل: إن معنى ذلك، فأم دماغه هاوية في النار، أي: يلقي في النار على رأسه، ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ﴾ وهذا تعظيم لأمرها، ثم فسرنا بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾؛ أي: شديدة الحرارة، قد زادت

حرارتها على حرارة نار الدنيا بسبعين ضعفًا، نستجير بالله منها.



تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿الْهَلِكُمْ التَّكَاثُرِ﴾

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْهَلِكُمْ التَّكَاثُرُ ١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر]

[١] يقول تعالى موبِّحاً عباده عن اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له ومعرفته والإنابة إليه، وتقديم محبته على كل شيء: ﴿الْهَلِكُمْ﴾ عن ذلك المذكور ﴿التَّكَاثُرُ﴾ ولم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون من التكاثر في الأموال والأولاد والأنصار والجنود والخدم والجاه وغير ذلك مما يُقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقصود منه وجه الله.

[٢] فاستمرت غفلتكم ولهوتكم وتشاغلكم ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ فانكشف حيثئذ لكم الغطاء، ولكن بعد ما تعذّر عليكم استئنافه.

ودلّ قوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أن البرزخ دار المقصود منها التّفوذ إلى الدار الآخرة، لأنّ الله سماهم زائرين ولم يسمّهم مقيمين، فدل ذلك على البعث والجزاء بالأعمال في دار باقية غير فانية.

[٣-٦] ولهذا توعدهم بقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥﴾؛ أي: لو تعلمون ما أمامكم علماً يصل إلى القلوب لما ألهاكم التكاثر ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي صيّركم إلى ما ترون، ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦﴾؛ أي: لتردن القيامة، فلترون الجحيم التي أعدها الله للكافرين.

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧﴾؛ أي: رؤية بصرية، كما قال تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا

أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٨﴾

[٨] ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾؛ أي: الذي تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه فينعمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل، أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على معاصي الله فيعاقبكم على ذلك، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الآية.



تفسير سورة العصر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]

[١-٣] أقسم تعالى بـ(العصر) الذي هو الليل والنهار محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابع.

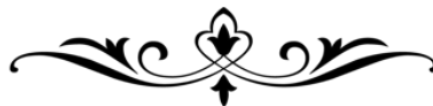
والخسار مراتب متعددة متفاوتة:

- قد يكون خساراً مطلقاً؛ كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم.
- وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان؛ إلا من اتصف بأربع صفات:

- الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به.
- والعمل الصالح؛ وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحقوق الله وبحقوق عباده، الواجبة والمستحبة.
- والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.

■ والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين، يُكَمِّلُ العبد نفسه، وبالأمرين الأخيرين يُكَمِّلُ غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم.



تفسير سورة الهمزة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي
الْحُطْمَةِ ٤ وَمَا أَدرُكَ مَا الْحُطْمَةُ ٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ
مُؤَصَّدَةٌ ٨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ٩ [الهمزة]

[١] ﴿وَيْلٌ﴾؛ أي: وعيد ووبال وشدة عذاب ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾؛ أي: الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله.

فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل.
واللماز: الذي يعيبهم بقوله.

[٢] ومن صفة هذا الهماز اللماز، أنه لا هم له سوى جمع المال وتعديده والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام، ونحو ذلك.

[٣] ﴿يَحْسَبُ﴾ بجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ في الدنيا، فلذلك كان كدّه وسعيه كلّهُ في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمي عمره، ولم يدر أن البخل يقصف الأعمار، ويخرّب الدّيار، وأن البرّ يزيد في العمر.

[٤-٧] ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ﴾؛ أي: ليطرحن ﴿فِي الْحُطْمَةِ ٤ وَمَا أَدرُكَ مَا الْحُطْمَةُ﴾ تعظيمٌ لها، وتهويلٌ لشأنها، ثم فسرهما بقوله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ التي وقودها الناس والحجارة ﴿الَّتِي﴾ من شدتها ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾؛ أي: تنفذ من الأجسام إلى القلوب.

[٨] ومع هذه الحرارة البليغة هم محبوسون فيها، قد أيسوا من الخروج منها، ولهذا قال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾؛ أي: مغلقة ﴿فِي عَمَدٍ﴾ من خلف الأبواب ﴿مُمَدَّدَةٍ﴾ لئلا يخرجوا منها ﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾، نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العفو والعافية.

تفسير سورة الفيل

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل]

[١-٥] أي: أما رأيت من قدرة الله وعظيم شأنه ورحمته بعباده وأدلة توحيده وصدق رسوله محمد ﷺ ما فعله الله بأصحاب الفيل الذين كادوا بيته الحرام وأرادوا خرابه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه، وجاءوا بجمع لا قبل للعرب به من الحبشة واليمن. فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفاً على أنفسهم منهم، أرسل الله عليهم ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾؛ أي: متفرقة، تحمل أحجاراً مُحمّاةً ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾، فرمتهم بها، وتتبع قاصيهم ودانيهم، فحمدوا وهمدوا، وصاروا ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾، وكفى الله شرهم، ورد كيدهم في نحورهم، وقصتهم معروفة مشهورة، وكانت تلك السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، فصارت من جملة إرهاصات دعوته وأدلة رسالته، فله الحمد والشكر.

تفسير سورة ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ﴾

وهي مكية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

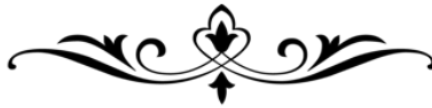
﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ ۝١ إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي

أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش]

[١-٤] قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها؛ أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، وفي الصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب؛ فأهلك الله من أرادهم بسوء، وعظّم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب، حتى احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أي سفر أرادوا، ولهذا أمرهم الله بالشكر، فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾؛ أي: ليوحدوه ويخلصوا له العبادة، ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾، فرغد الرزق والأمن من الخوف، من أكبر النعم الدنيوية الموجبة لشكر الله تعالى.

فلك اللهم الحمد والشكر على نعمك الظاهرة والباطنة.

وخصّ الله الربوبية بالبيت لفضله وشرفه، وإلا فهو ربّ كل شيء.



تفسير سورة الماعون

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون]

[١] يقول تعالى ذامًا لمن ترك حقوقه وحقوق عبادة: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾؛ أي: بالبعث والجزاء، فلا يؤمن بما جاءت به الرسل.

[٢] ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾؛ أي: يدفعه بعنف وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو ثوابًا، ولا يخاف عقابًا.

[٣] ﴿وَلَا يُحِضُّ﴾ غيره ﴿عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ ومن باب أولى أنه بنفسه لا يطعم المسكين.

[٤-٥] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾؛ أي: الملتزمين لإقامة الصلاة، ولكنهم ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؛ أي: مضيعون لها، تاركون لوقتها، مخلون بأركانها، وهذا لعدم اهتمامهم بأمر الله حيث ضيعوا الصلاة التي هي أهم الطاعات، والسهو عن الصلاة هو الذي يستحق صاحبه الذم واللوم. وأما السهو في الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي ﷺ.

[٦-٧] ولهذا وصف الله هؤلاء بالرياء والقسوة وعدم الرحمة، فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾؛ أي: يعملون الأعمال لأجل رثاء الناس، ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾؛ أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذله والسماح به، فهؤلاء لشدة حرصهم يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه؟!

وفي هذه السورة الحث على إطعام اليتيم والمساكين والتحضيض على ذلك ومراعاة الصلاة والمحافظة عليها وعلى الإخلاص فيها وفي سائر الأعمال.

والحث على فعل المعروف وبذل الأمور الخفيفة؛ كعارية الإئاء والدلو والكتاب ونحو ذلك؛ لأن الله
ذم من لم يفعل ذلك.

والله سبحانه أعلم.



تفسير سورة الكوثر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾ [الكوثر]

[١] يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ممتناً عليه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾؛ أي: الخير الكثير والفضل الغزير الذي من جملته ما يعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة من النهر الذي يقال له: (الكوثر) ومن الحوض؛ طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آيته عدد نجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

[٢] ولما ذكر منته عليه أمره بشكرها فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾، خص هاتين العبادتين بالذكر لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقله في أنواع العبودية، وفي النحر تقرباً إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به.

[٣] ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾؛ أي: مبغضك وذامك ومنتقصك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾؛ أي: المقطوع من كل خير، ومقطوع العمل مقطوع الذكر، وأما محمد ﷺ، فهو الكامل حقاً، الذي له الكمال الممكن للمخلوق من رفع الذكر وكثرة الأنصار والأتباع ﷺ.

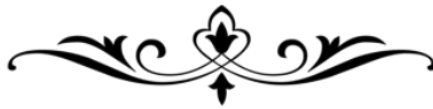
تفسير سورة ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وهي مكية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ [الكافرون]

[١-٦] أي: قل للكافرين معلناً ومصرحاً ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: تبرأ مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهراً وباطناً.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ لعدم إخلاصكم في عبادتكم لله؛ فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة.

وكرر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفاً لازماً؛ ولهذا ميز بين الفريقين وفصل بين الطائفتين، فقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ ﴿أَنْتُمْ بَرِئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.



تفسير سورة النصر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر]

[١-٣] في هذه السورة الكريمة، بشارة وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة، وتنبية على ما يترتب على

ذلك:

فالبشارة: هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس ﴿فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشر به.

وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح؛ فأمر الله رسوله أن يشكره على ذلك، ويسبح بحمده ويستغفره.

وأما الإشارة، فإن في ذلك إشارتين:

- إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمرًا، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه، ما لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلوا بتفرق الكلمة، وتشتت الأمر، فحصل ما حصل، ومع هذا فللهذه الأمة وهذا الدين من رحمة الله ولطفه ما لا يخطر بالبال أو يدور في الخيال.

- وأما الإشارة الثانية: فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله ﷺ قد قُرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره

عمر فاضل أقسم الله به، وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك.

فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء

ربه، ويختتم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه.

فكان ﷺ يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثُر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».



تفسير سورة تَبَّتْ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝
وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾ [المسد]

أبو لهب هو عم النبي ﷺ، وكان شديد العداوة والأذية له، فلا فيه دين له ولا حمية للقربة -قبحة الله-، فذمه الله بهذا الذم العظيم، الذي هو خزي عليه إلى يوم القيامة، فقال:

[١] ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾؛ أي: خسرت يده، وشقي ﴿وَتَبَّ﴾ فلم يربح.

[٢] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ الذي كان عنده فأطغاه، ولا ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ فلم يرد عنه شيئاً من عذاب الله إذ نزل به.

[٣-٥] ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ أي: ستحيط به النار من كل جانب، هو ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، وكانت أيضاً شديدة الأذية لرسول الله ﷺ، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول ﷺ، وتجمع على ظهرها الأوزار بمنزلة من يجمع حطباً، قد أعد له في عنقه حبلاً ﴿مِّن مَّسَدٍ﴾؛ أي: من ليف، أو أنها تحمل في النار الحطب على زوجها، متقلدة في عنقها حبلاً من مسد.

وعلى كل ففي هذه السورة آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لا يُسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة.



تفسير سورة الإخلاص

وهي مكية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]

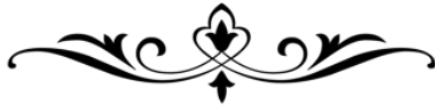
[١] أي ﴿قُلْ﴾ قولاً جازماً به، معتقداً له، عارفاً بمعناه، ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

[٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾؛ أي: المقصود في جميع الحوائج، فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كَمُلَ في علمه، الحلیم الذي قد كَمُلَ في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته الذي وسعت رحمته كل شيء... وهكذا سائر أوصافه.

[٣] ومن كماله أنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه.

[٤] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله تبارك وتعالى.

فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات.



تفسير سورة الفلق

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ [الفلق]

[١] أي: ﴿قُلْ﴾ متعوذاً ﴿أَعُوذُ﴾؛ أي: ألجأ وألوذ، وأعتصم ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾؛ أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح.

[٢] ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وهذا يشمل جميع ما خلق الله من إنس وجن وحيوانات، فيستعاذ بخالقها من الشر الذي فيها.

[٣] ثم خص بعد ما عمّ، فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؛ أي: من شر ما يكون في الليل حين يغشى الناس وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة والحيوانات المؤذية.

[٤] ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾؛ أي: ومن شر السواحر، اللاتي يستعنّ على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنّها على السحر.

[٥] ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والحاسد هو: الذي يحب زوال النعمة عن المحسود، فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس.

فهذه السورة تضمّنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور عموماً وخصوصاً، ودلت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله.

تفسير سورة الناس

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس]

[١-٦] وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيُحسِّن لهم الشر، ويريهم إياه في صورة حسنة، ويُنشِط إرادتهم لفعله، ويثبِّطهم عن الخير، ويُريهم إياه في صورة غير صورته، وهو دائماً بهذه الحال يوسوس ثم يخنس أي: يتأخر عن الوسوسة إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه، فينبغي له أن يستعين ويستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم، وأن الخلق كلهم داخلون تحت الربوبية والملك.

فكل دابة هو آخذٌ بناصيتها، وبألوهيته التي خلقهم لأجلها؛ فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السَّعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، ونسأله تعالى أن يتم نعمته، وأن يعفو عنا ذنوبًا لنا حالت بيننا وبين كثير من بركاته، وخطايا وشهوات ذهبت بقلوبنا عن تدبر آياته، ونرجوه ونأمل منه ألا يحرمننا خير ما عنده بشر ما عندنا، فإنه لا ييأس من رُوح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلا الضالون.

وصلَّى الله وسلم على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، صلاة وسلامًا دائمين متواصلين أبد الأوقات.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تم تفسير كتاب الله بعونه وحسن توفيقه على يد جامعه وكاتبه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله
المعروف بابن سعدي غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين، وذلك في غرة ربيع الأول من سنة أربع

وأربعين وثلاثمائة وألف من هجرة محمد ﷺ.

ربنا تقبل منا واعفُ عنا إنك أنت الغفور الرحيم.



المحتويات

٣.....	تفسير سورة عم
٨.....	تفسير سورة النازعات
١٣.....	تفسير سورة عبس
١٦.....	تفسير سورة التكويد
٢٠.....	تفسير سورة الانفطار
٢٢.....	تفسير سورة المطففين
٢٧.....	تفسير سورة الانشقاق
٣٠.....	تفسير سورة البروج
٣٤.....	تفسير سورة الطارق
٣٦.....	تفسير سورة سبج
٣٩.....	تفسير سورة العاشية
٤٣.....	تفسير سورة الفجر
٤٧.....	تفسير سورة لا اقسيم
٥٠.....	تفسير سورة والشمس وضحتها
٥٢.....	تفسير سورة والليل
٥٥.....	تفسير سورة والضحي
٥٧.....	تفسير سورة ألم نشرح لك صدرك
٥٩.....	تفسير سورة والتين
٦١.....	تفسير سورة اقرأ
٦٣.....	تفسير سورة القدر

- ٦٥..... تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿لَمْ يَكُنْ﴾
- ٦٧..... تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾
- ٦٩..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَادِيَّاتِ
- ٧١..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَارِعَةِ
- ٧٣..... تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿أَلْهَلِكُمُ التَّكَاثُرُ﴾
- ٧٥..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَصْرِ
- ٧٦..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْهُمَزَةِ
- ٧٧..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفِيلِ
- ٧٨..... تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ﴾
- ٧٩..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمَاعُونِ
- ٨١..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكُوثرِ
- ٨٢..... تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾
- ٨٣..... تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّصْرِ
- ٨٥..... تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿تَبَّتْ﴾
- ٨٦..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ
- ٨٧..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَلَقِ
- ٨٨..... تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّاسِ
- ٩٠..... المحتويات



للمراسلة حول تصحيح الأخطاء المطبعية

Sunnah.College1@gmail.com



ئەكادیمیای بانگه‌واز



Academy.Bangawaz.net